لفائف التبغ

لفائف التبغ

هيثم حسين

رواية

مراجعة لغوية: فاطمة حمدي

إخراج داخلي: مينا تادرس

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي (ISBN):

جميع الحقوق محفوظة ©

أي اقتبـاس أو تقليـد أو إعادة طبـع أو نشـر دون موافقة كتابيـة، يُعرِّض صاحبه للمساءَلة القانونية.
أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمـادة الـواردة في الكتـاب فهي خاصـة بالكـاتب فقط لا غير.

+20 109 919 7450

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

Strand block - Abdein square
down town - Cairo - Egypt.

هيثم حسين

لفائف التبغ

إبهار
للنشر و التوزيع

إهـــداء

إلى التي لم تبخل بالغالي والرخيص لإسعادي..

إلى التي لم تبخل بصحتها وعمرها لأجل أبنائها..

إلى التي لها الفضل في كل نَفَس أتنفسه..

إلى التي لم أقل لها يوما أني أحبها، أقول لها الآن أني أحبها أكثر من نفسي..

أمي الغالية رحمة الله عليها...

استيقظ شريف من النوم وهو يشعر -بسبب تأثير الكحول الذي قد تجرعه ليلة أمس- ببعض الغثيان والدوار، وما لبث أن نهض من فراشه حتى دخلت عليه أمه وهي تثرثر بأنه ينام كثيراً، وتهم بفتح النوافذ لعلّ أشعة الشمس والهواء النقي يدخلان الغرفة ليغسلاها من رائحة التبغ التي قد ملأت الغرفة ولعلهما يغسلا شريف أيضًا من الاكتئاب الذي لازمه منذ تخرجه من الجامعة وبحثه الدؤوب عن عمل دون جدوى..

الأم: قوم يا شريف، احنا بقينا الضهر.

شريف: يعني يا أمي لو كملت نومي القيامة هتقوم مثلًا!

الأم: يا حبيبي قوم شوف اللي وراك، وعلى ما تقوم هعملك الشاي والبسكوت تفطر.

شريف: ماشي يا أم شريف ربنا يخليكي.

ما لبثت أن خرجت أمه -التي يعتبرها الكون كله، مجرة الحنان هي ولا شيء سواها- حتى رن هاتفه المحمول بنغمة رتيبة عادية من نوع النغمات المثبتة مسبقًا على الهاتف..

شريف: أللووو

حسام صديقه المقرب: أنت فين يا عم شريف بقالي ساعة ملطوع في الشارع.

شريف : يااااه ده أنا نسيتك خالص، مع إننا كدة كدة هنترفض زي كل مرة.

حسام: طب يللا تعالى علشان نلحق معادنا، وسيب الباقي على ربنا.

أغلق شريف الهاتف وهو يشعر بثقل سيارة نقل مثبتة على قدميه، لا يريد أن يذهب إلى هذه المقابلة، كانت مقابلة عمل في إحدى الشركات التي يتمنى كل المهندسين العمل بها، وكان شريف قد تخرج من كلية الهندسة منذ سبع سنوات من جامعة القاهرة،

وكان تخصصه هو إصلاح الأجهزة الطبية الدقيقة جدًا، وكان قد يئس من البحث عن وظيفة.

خرج شريف من غرفته على استعجال وذهب للمرحاض للاستعداد لموعد المقابلة، نظر إلى المرآة في حزن وكآبة وهو يصفف خصلات شعره ويهمهم: الله يرحمك يا حاج، مسبتليش غير العيون الملونة والشعر الناعم.

ثم دخل إلى غرفته مرة أخرى، وأخرج البدلة الوحيدة التي ربما ذهب بها إلى مئة مقابلة عمل ومئة وخمسين مناسبة اجتماعية، وربما يستخدمها كمايوه أيضًا.

خرج من غرفته على استعجال.

الأم: الفطار جاهز يا شريف.

شريف: معلش يا أمي لازم أنزل، كان فيه مقابلة شغل ونسيتها، ولازم أنزل حالًا ومش هتأخر.

الأم: طيب يا حبيبي ربنا يوفقك.

وأخذت والدة شريف تسرد الأدعية التي تحفظها كل الأمهات، نوع الأدعية التي تصلح لجميع الأزمات والمناسبات، ربما توزع ورقة بهذه الأدعية على كل من تحمل لقب أم.

نزل شريف إلى الشارع الذي يسكنه في حي المنيل واستقل سيارة أجرة إلى الجيزة للقاء صديقه حسام والذهاب إلى مقر الشركة في الشيخ زايد.

حسام: ما لسة بدري يا عم الزفت.

شريف: اخلص بقى أنا مش فايقلك، مكنتش حتة عربية طالع عينها هتذلني بيها، والله أنزل.

حسام: لا يا عم وعلى إيه، عمومًا، كويس إني صحيتك، أنا عارف إنك مكنتش هتصحى من الكاسين بتوع امبارح.

شريف: الله يحرقك أنت وخروجاتك.

حسام: بس البنت نرمين منزلتش عينها من عليك طول الليل، اااااخ بس لو عندي عينيك الملونة دي.

شريف: يللا بقى دوس بنزين خلينا نتوكل.

اتجها منطلقين إلى مقر الشركة لحضور المقابلة.. وصلا إلى مقر الشركة الكائن في الشيخ زايد في إحدى المناطق الراقية جدًا. تحدثا إلى السكرتيرة أن لديهما موعد مع السيد عاطف البنهاوي المدير التنفيذي للشركة لعمل مقابلة عمل.

دقائق ودخل حسام أولاً، ولم يمكث كثيراً، بضع دقائق ربما، ثم خرج عابث الوجه وهو يهمس لشريف: راجل رخم.

دخل شريف إلى السيد عاطف البنهاوي، كان في عقده الخامس، رجل أنيق يرتدي بذة كحلية اللون، وساعة ماركة باتيك فيليب، تلك الساعات التي ربما قد يكفي ثمنها لسداد ديون مصر، وكان مكتبه عصري إلى حد كبير وواسع جدًا.

جلس شريف على الكرسي المقابل للسيد عاطف وأخذ يجول بعينيه في المكتب، لاحظ وجود صور كثيرة موضوعة بعناية على المكتب، تخص أ. عاطف بمفرده وهو يصطاد، وهو ممسك ببندقية، وهو يجول العالم بأثره، ربما لو تجول أكثر لوجده بصورة وهو في الفضاء يلعب الجولف.

رمقه عاطف وسأله وهو ينظر إلى سيرته الذاتية: أنا شايف إنك كنت متفوق في الكلية.

شريف: الحمد لله يا فندم، الخمس سنين كنت بجيب امتياز.

عاطف: وليه متعينتش معيد في الكلية؟

شريف: قدمت لكن خدوا ابن دكتور في الكلية.

عاطف: كوسة بقى يا شريف إنت فاهم الأمور بتمشي ازاي.

شريف: هو نصيب ورزق يا فندم عمومًا.

عاطف: أنت طبعًا عارف شركتنا، وأنا تعبت قد إيه علشان أعرف أجيب التوكيل ده مصر، واحنا متخصصين في صيانة الأجهزة الطبية الدقيقة جدًا، ولينا فروع في كذا دولة.

رد شريف بفتور: طبعًا، طبعًا يا فندم، الشركة عمومًا معروفة جوة مصر وبرة مصر، وهي الأولى في مصر.

سأل السيد عاطف شريف الكثير من الأسئلة الفنية التي من دورها قد تثبت أن شريف فعلًا كفء لهذه الوظيفة.

عاطف: طيب شوف يا بشمهندس شريف، احنا شركة كبيرة زي م قولتلك ولينا فروع برة مصر، هل عندك مشكلة تتنقل بين الفروع دي؟

شريف: الحقيقة يا بشمهندس أنا عايش مع أمي لوحدي ومقدرش أبعد عنها كتير.

عاطف: متقلقش، مش هنبعدك عنها كتير، ربنا يخليهالك.

شعر عاطف أن شريف شاب مجتهد، وأن لديه مستقبل باهر.

* * *

رجع شريف إلى المنزل ولديه احساس يكاد يتحول يقين أنه سيأخذ تلك الوظيفة.

رن هاتفه المحمول..

حسام: إيه يا بني أنت فين مش هتنزل؟

شريف: لا يا عم أنا تعبان جدًا عايز أنام، وقاعد مع أمي شوية.

حسام: طيب أنت الخسران، أنا خارج مع نرمين وشاهندا.

شريف: لا اخرج أنت، أشوفك بكرة.

أغلق شريف الهاتف وهو يتذكر أيام الجامعة كيف كانت علاقته بحسام، كانت علاقة صداقة حقيقية لكن حسام لم يكن من المتفوقين، بالكاد ينجح وبمساعدة شريف بالطبع.

راجع شريف أفكاره..

أنا لازم أركز وآخد الوظيفة دي، الفرصة جاتلي ولازم أمسك فيها.

خرج شريف من غرفته بعد أن بدل ملابسه، وجد أمه الحنون تقوم ببعض الأعمال في المطبخ، كانت امرأة مكافحة، هي التي تولت رعاية شريف بعد موت والده في حادث سير، وكان شريف حينها لا زال في السادسة من عمره، وها هي أمه قد بلغت سن المعاش منذ ثلاثة سنوات.

شريف: بتعملي إيه يا أمي، كفاية تعب.

الأم: أنا فاضية يا حبيبي بتسلى، هقعد أعمل إيه!

شريف: طيب أنا هنام ساعة وأصحى نتغدا.

دلف شريف إلى غرفته ورمى بجسده المنهك على فراشه ونام نوما عميقًا..

ما لبث أن غاص في أعماق نومه حتى شعر بأمه:

اصحى يا شريف، بقالك تلات ساعات نايم وأنا جوعت.

شريف: يااااه تلات ساعات! والله ولا حسيت.

ذهبا إلى طاولة الطعام أمام التلفاز وأخذا في الحديث عن المقابلة وعن نوع العمل، قال شريف: ربنا يسهل يا أمي، بس فيها مشكلة واحدة، فيها سفر.

الأم: وماله يا حبيبي، ما أنت عارف خالاتك بيجوا يقعدوا معايا وكلهم جنبنا هنا في المنيل، مش مشكلة.

أنهيا وجبة الغداء التي تحولت لعشاء، ثم دلف شريف إلى غرفته لفتح بعض المراجع لمراجعة وتنشيط ذاكرته، أخذ يقرأ بتركيز، كان من عادة شريف أنه يضع تركيزه في الشيء الذي يقوم به، تركيز من النوع الذي يتحول لفصل حواسه الخمس عن العالم الخارجي، فقط ما يقوم بعمله الآن، وكان هذا هو سر تفوقه في الجامعة.

رن هاتفه المحمول، كان على الهاتف صديقه من المدرسة، كانا على علاقة طيبة، يتواصلان ليسألا عن بعضهما من حين لآخر، وكان صديقه محمد كمال من عائلة ميسورة الحال..

شريف: ألوو إزيك يا أبو كمال.

كمال: إزيك يا شريف، واحشني جدًا من ساعة ما عزلنا من المنيل من خمس سنين وأنا مش عارف أشوفك.

شريف: وأنت كمان والله ليك وحشة، طيب م تعدي ننزل شوية.

كمال: أنا فعلًا في المنيل، تعالى نروح النادي شوية.

شريف: طيب يللا بينا، أنا هنزل وأكلمك.

نزل شريف من منزله ليقابل كمال، وكانا يفضلان دائمًا أن يتقابلا عند سينما فاتن حمامة، وكانا من روادها أيضًا..

وصل كمال بسيارته من طراز مرسيدس، تلك السيارات التى تفصلك عن العالم الخارجى بحيث إن انفجرت في الخارج قنبلة تي ان تي شديدة الانفجار فلن تسمع أى شيء..

شريف: فاكر السينما يا كمال كنا كل خميس لازم نروح.

كمال: كانت أحلى أيام والله، ومش قادر أنسى المنيل، ساعات آجي ألف بالعربية من غير هدف وأروح.

شريف: أنا مش متخيل إني ممكن أسيب المنيل.

كمال: أنا كنت بقول زيك لكن بعد ما نقلت زايد العيشة هناك أهدى وليها طعم تاني يا شريف.

شريف: هنروح فين؟

كمال: نادي الجزيرة، هقابل ناس صحابى وأهو تغير مناظر وتتعرف على ناس جديدة.

أخذ شريف ينظر إلى الطرقات، فهو لأول مرة في حياته يرى الشارع بهذا الهدوء، وذلك بفضل عزل السيارة الممتاز الذي لا يسمح بدخول صوت من الخارج.

وصلا إلى النادي وكان كمال من الأشخاص المعروفين لدى أمن النادي ورحبوا به، ودخلا إلى النادي. أخذ كمال يشرح الأماكن لشريف وأن هذا النادي تم تأسيسه سنة ١٨٨٢ للبشاوات والأمراء..

انبهر شريف من جمال النادي ومن فخامته ومن الساعات الرولكس المنتشرة كساعات شارع وكل تفصيلة.

ذهبا إلى طاولة بجانب مسار الجري الخاص بالنادي وجلس شريف مقابل لكمال وقام كمال بالاتصال باصدقائه ليجمعهم، بينما يراقب شريف مسار الجري إذ به يجد فتاة في منتصف العقد الثالث تمسك بزجاجة مياه وتستخدم المسار في المشي السريع بلباس رياضي من إحدى الماركات الشهيرة، شعر شريف أن الزمن قد توقف، شعر بحركة تصوير بطيء وهو يراها قادمة وشعرها يتناثر بفعل الهواء، شعر شريف أنها قادمة إليه وشعر بالحرج الشديد، ثم توقفت

عند الطاولة التي كان يفصل بينها وبين المسار سور حديدي قصير وقالت:

إزيك يا كمال، ما لسة بدري.

كمال: أهلا نيللي، معلش أصلي عديت أجيب شريف، أعرفكم.

أشار كمال إلى شريف ليعرفها إليه: شريف.

ثم أشار إليها كي يعرفها إلى شريف: نيللي.

مدت نيللي يدها إلى شريف: أهلا شريف.

شعر شريف أنه دعك المصباح وقال له: "أريد أن أستوقف هذه الفتاة لأتعرف إليها وأصافحها وأجلس معها" وللعجب وافق المارد ونفذ ما طلبه.

همّ واقفًا وهو يقول: أهلًا نيللي، فرصة سعيدة.

نيللي: طيب يا كمال هروح أغير وأجيلك، تكون لميت باقي الشلة.

كمال: ماشي يا نيللي.

ذهبت نيللي وظل شريف ينظر إليها حتى قال له كمال فجأة:

أنت يا بني سهمت كدة ليه مالك؟

شريف: لا مفيش، مش هنشرب حاجة؟

كمال: ساعد نفسك بنفسك، ده شعار النادي، قوم هات اللي عايزه.

ذهب شريف إلى إحدى المحلات لأخذ كوب قهوة، ربما تصلح أعصابه من هول العاصفة التي لمت به، ثم رجع إلى الطاولة مرة أخرى وجلس مع صديقه كمال، وتوالى أصدقاء كمال في القدوم، كانوا ثلاثة أشخاص، نيللي وسارة وشادي.

جلسوا جميعًا على نفس الطاولة وكل منهم أتى بمشروبه المفضل.

لم يرَ شريف أيًا من الجالسين إلا نيللي، يرمقها بحذر وهي ترشف من كوب البرتقال وتمسح شفتيها وتضع الكوب على الطاولة.

تكلم كمال:

ده شريف يا جماعة، صاحبي من أيام المنيل، كان معايا في المدرسة ومتربيين مع بعض.

شعر شريف بالحرج، كل الجالسين يبدو عليهم الثراء، كما أنه خجول بطبعه، شعر بفقره وإن كان احساس زائف، فعائلة شريف من الطبقة المتوسطة، كان يعمل والده في إحدى شركات القطاع العام، وتتقاضى والدته راتب تقاعد والده يكفي للعيش ويفيض منه.

قال شادي: أهلًا شريف، نورتنا.

وسارة أيضًا أبدت ترحيبًا، أما نيللي فلم تعره أي انتباه..

أخذوا يتحدثون عن سفريات أوروبا وأنهم قد ملّوا السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأنهم سافروا إليها كثيراً، وظلّوا يتحدثون عن آخر الصيحات والموديلات وأنواع السيارات الجديدة.

لم يجد شريف نفسه وسط الجمع، وجد نفسه فقط يرمق نيللي بنظرات فضولية، يحاول أن يقول لها: "انا هنا، تحدثي عن نفسك".

وبعد انتهاء اللقاء ذهبوا جميعا، قال كمال: يللا بينا يا شريف علشان أوصلك.

فكر شريف قليلًا ثم قال: روّح أنت يا كمال، أنا عاوز أتمشى لحد البيت، هي مسافة مش طويلة.

مضى شريف في طريقه من حي الزمالك حتى المنيل وهو يفكر في شيء واحد فقط، نيللي، هل سيراها مرة أخرى؟ وحتى إن رآها، هل تكترث هي لوجوده؟

حتى قطع تفكيره تلك النغمة الرتيبة لهاتفه، كان حسام صديقه على الهاتف..

حسام: ألووو. إزيك يا شريف.

شريف: أهلًا يا حسام، عامل إيه؟

حسام: حد كلمك من الشركة؟

شريف: لا لسة، إنت حد كلمك؟

حسام: لا، عمومًا هيبان بكرة، ما تيجي ننزل شوية.

شريف: ننزل فين يا صايع الساعة ١٢، أنا مروح أشوفك بكرة.

أغلق شريف الهاتف، ظلّ شاردًا قليلًا على كوبري الجامعة، كم هي جميلة هذه البلد ليلًا!

وصل إلى منزله، فتح الباب في هدوء شديد حتى لا يوقظ أمه المسكين التي تنام بفعل بعض الأدوية لما تعانيه من التهاب في بعض الغدد، مما يدفعها لأخذ مسكنات قوية.

غاص في فراشه ونام بعمق، نام وهو متيقن أن حياته تتغير ربما، شعر لأول مرة أنه على قيد الحياة.

استيقظ على الساعة التاسعة صباحًا على رنة هاتفه، رد على الهاتف: الوو.

الصوت على الهاتف: صباح الخير، بشمهندس شريف؟

شريف: أيوة أنا شريف.

الصوت على الهاتف: مع حضرتك شيماء، بكلم حضرتك بخصوص الانترفيو بتاع امبارح، مبروك تقدر تجهز أوراقك خلال أسبوع وتبدأ.

في لهفة قال لها شريف: قبل أسبوع كمان إن شاء الله.

-تمام أول ما تخلص أوراقك تقدر تيجي الشركة وتستلم الوظيفة.

في تشوق قال لها: متشكر جدًا، مع السلامة.

خرج من غرفتة وهو في غاية سعادته صائحًا: يا أم شريف، أنا اتقلبت في الوظيفة.

فرحت أمه كثيراً.. دخل شريف إلى غرفته يفكر كثيراً في تلك المسوؤلية التى حطت على عاتقه، همّ بالاتصال بحسام يزف إليه الخبر..

شريف: حد كلمك يا حسام؟

حسام: لا هما كلموك؟

شريف: اه، وهبدأ أجهز الورق بتاعي.

حسام: بالتوفيق ياصاحبي.

أغلق شريف الهاتف ونزل إلى بعض المصالح الحكومية لعمل الأوراق المطلوبة، وبعد بضعة أيام ذهب إلى مقر الشركة وهو يرتدي بذة جديدة كان قد اشتراها من إحدى المحلات المشهورة، وقدم أوراقه إلى السكرتيرة وانتظر نصف ساعة حتى دخل إلى قسم الموراد البشرية لامضاء العقد ومعرفة بعض التفاصيل من راتب وحوافز ومواعيد عمل وما إلى آخره.

كان الراتب مجز حقًا، يستطيع أن يعتمد عليه فى حياة جيدة.

دخلت السكرتيرة إليه: مهندس شريف، مستر عاطف عايزك لما تخلص.

أنهى شريف كل الأوراق المطلوبة ومعرفة كل التفاصيل، ثم ذهب إلى مكتب السيد عاطف، صافحه عاطف بقوة وقال له: أنا مراهن عليك.

رد شريف: إن شاء الله أكون عند حسن ظن حضرتك.

* * *

أخذ عاطف يشرح له طبيعة الوظيفة ومدى أهميتها، واتصل بمدير قسم الصيانة وعرفا بعضهم بعضًا وأن شريف سيعمل تحت إشرافه لكي يتعلم من مهندس مدحت طبيعة عمله الجديد، ثم خرجا من مكتب البنهاوي وكانا يتحدثان وهما ذاهبين إلى الدور الأرضي الذي به مكاتب، وورشة الصيانة الخاصة بالشركة، حيث كان مقر الشركة يتألف من ثلاثة طوابق: الأرضي، ويحتوي كاملًا على ورشة الصيانة ومكاتب المهندسين والعاملين واستراحة صغيرة.

والدور الأول يحتوي على مكتب عاطف البنهاوي ومكاتب الشؤون القانونية والحسابات ومكاتب كبار الموظفين.

أما الدور الثاني، كان يحتوي على مكاتب المبيعات والدعاية.

كانت المبيعات تستحوذ على جزء كبير من اهتمام البنهاوي، كان دائمًا يسميها قلب الشركة. اتصل البنهاوى بشيماء سيكرتيرته الخاصة وقال لها أن تتصل بإبراهيم مدير المبيعات وأن اجتماع طارئ سوف ينعقد حالًا.

دخل السيد إبراهيم ومعه مساعده إلى غرفة الاجتماعات، وجد البنهاوي في انتظاره وهو يدخن سيجاره الفاخر.

إبراهيم: صباح الخير يافندم.

قالها إبراهيم بتوتر شديد، حيث من النادر أن يطلبه البنهاوي في أي اجتماعات طارئة ما عدا الاجتماع الشهري الذي يتم مناقشة المبيعات فيه وسير العمل.

رد عليه البنهاوي في غضب شديد: أنت بتلعب يا إبراهيم! يعني بتسوق لأجهزة مش بتاعتي؟ أنت فاكرني نايم على ودني؟ أخبار السوق بتوصلني.

اتفضل أنت مطرود، وعدي على الحسابات خد مستحقاتك وسلم كل الشغل لمحمود.

كان محمود مساعد إبراهيم واقفًا يشاهد الموقف وهو في ذهول من الموقف. تعرق جبين إبراهيم وقد احمر وجهه من هول الموقف، وأطرق قائلًا: تمام حضرتك.

خرجا من المكتب وكان البنهاوي على علم بكل ما يفعلاه إبراهيم من حيل في السوق. لكن وصل الأمر لحد لا يمكن السكوت عنه.

جلس البنهاوي يتذكر أيام شبابه وكيف أنه عمل بجد كي يصل إلى مكانه، وكيف أنه ظل يحلم طويلًا للحصول على هذا التوكيل.

شرد قليلًا حتى رن هاتفه، كان ابنه هيثم: ازيك يا بابا.

عاطف: أهلًا ياحبيبي، عامل إيه؟

هيثم: الحمد لله كله حلو.

عاطف: مش ناوي بقى تسيب المانيا وتيجي تقعد معايا هنا؟ أنا هسيب ده كله لمين! ده إنت من ساعة ما مامتك ربنا افتكرها من ٣ سنين مجتش غير مرتين.

هيثم: يا بابا احنا اتكلمنا في الموضوع ده كتير، أنا جربت ومعرفتش، أنا لاقي نفسي هنا.. عموما أنا بكلم حضرتك أقولك إني أنا وجوليا والأولاد نازلين أجازة.

أغلق البنهاوي الهاتف وفتح معرض الصور في الهاتف، فتح صورة زوجته وهمس: الله يرحمك يا عفاف، سبتيني بدري، الله يرحمك.

ظل مدحت يشرح لشريف مدى أهمية قسم الصيانة، وأن البنهاوي يعيره اهتمام كبير.

سأله شريف: هو حضرتك بقالك كتير هنا؟

مدحت: أنا من ساعة ما الشركة اتأسست من ١٥ سنة وزي ما أنا هنا.

شريف: واضح إن البنهاوي بيحبك.

مدحت: آه بيعتمد عليا، وهو راجل كويس.

استلم شريف مكتبه الجديد وبدأ في وضع لمساته عليه، كان مكتب متواضع بطبيعة الحال، له ثلاثة أدراج، وكانت الغرفة تحتوي على أربعة مكاتب، مكتب ل أ. مدحت مدير القسم، ومكتب شريف على يمينه، ومكتب للمهندسة رنا على يساره، ومكتب المهندس نشأت مواجه لمكتب مدحت.

اتصل شريف بالبوفيه ليطلب كوباً من القهوة: الو عم إدريس، عايز قهوة لو سمحت.

كان عم إدريس يعد القهوة على تلك الغلاية الكهربائية التي لا تفعل شيء سوى حرق البن.

٥ دقائق وأتى عم إدريس بكوب القهوة: اتفضل يا بشمهندس.

شريف: شكرا ياعم إدريس. قولي، الناس هنا بتدخن فين؟

عم إدريس: فوق في الرووف يا بشمهندس، عند البرجولا.

شريف: إيه ده؟ محدش قالي إن فوق فيه مكان للقعدة أصلا.

عم إدريس: لا فيه، ومكان جميل، الموظفين ليهم استراحة نص ساعة بيطلعوا يقعدوا فوق.

فهم شريف أن وجوده أعلى الرووف غير مرغوب فيه سوى في الاستراحة المخصصة. حيث سمع من عم إدريس أن البنهاوي بيه على حد قوله لا يرغب في إضاعة الوقت، وأنه يراقب الموظفين من الكاميرات المثبتة.

همس شريف: بلاش منها أم السيجارة. أشربها بعدين.

همس يكلم نفسه: شكلك عصفورة كبيرة ياعم أبو قردان أنت.

تجول شريف في المعمل الخاص بتصليح الأجهزة، وجد أمامه مدحت يحاول جاهدًا في إصلاح جهاز قد أتى من إحدى المستشفيات للصيانة.

شريف: إيه العطل اللي فيه يا بشمهندس؟

مدحت: ده جهاز أشعة، العميل بيشتكى موتوره بايظ مش بيتحرك، احنا عندنا القطعة بتاعته، خد ركبها وريني هتشتغل ازاي.

هم شريف في فك وصيانة الجهاز، وضع القطعة الجديدة مكان التالفة في سهولة كأنه من صنع هذا الجهاز، اندهش مدحت من سرعة شريف في فك وتركيب وتقفيل الجهاز.

قال مدحت لشريف في اندهاش: برافو يا شريف، هتتعلم بسرعة شكلك.

قال شريف في جدية: أنا تلميذك يا بشمهندس.

رجع شريف إلى المنزل بعد يوم عمل شاق. كان أول يوم عمل له لكنه شعر كأنه سنة.

وجد أمه كالعادة في المطبخ تجهز الغداء: ازيك يا أمي.

الأم: أهلًا يا حبيبي، خلاص الغدا خلص.

شريف: الحقيني هموووت من الجوع.

جلسا على الطاولة وتناولا الغداء معا، وشرح لها شريف أنه يوم متعب جدًا، وأنه وجد وظيفة أحلامه، وكيف كان يومه الأول.

شريف: إن شاء الله يا ست الكل أول مرتب هيبقى كله ليكي تجيبي اللي نفسك فيه.

الأم: أنا مش عايزة حاجة يا حبيبي. أنت محتاج تحوش عشان تتجوز، متبقاش مسرف زي أبوك الله يرحمه.

شريف: لا يا أمي، قبل الجواز لازم أجيب عربية بدل بهدلة الموصلات دي.

دخل إلى غرفته، لم يشعر بنفسه، نام وغاص في فراشه.

استيقظ باكرًا في نشاط، دخل إلى الحمام وأعد نفسه للذهاب إلى العمل.

وصل الشركة قبل موعده، صعد إلى الرووف يستكشف البرجولا التي حدثه عم إدريس عنها، أثارت اعجابه.

جلس وأشعل لفافة تبغ ثم نزل إلى مكتبه وجد رنا على مكتبها، هو لم يرها من قبل.

شريف: صباح الخير، رنا؟

قالها في سؤال..

رنا: صباح النور، إزيك ياشريف، مهندس مدحت قالي إنك جديد في الشركة معانا، فرصة سعيدة.

كانت جافة، كانت من نوع البنات التي تتخيل أن كل الرجال ليس لهم أى مهمة في الحياة سوى التقرب منها، وأن مهمتها القومية هى صد أولئك الأوغاد المتحرشين.

شريف : أنا أسعد.

قالها مع ضحكة صفراء، وهمس يكلم نفسه: أنا أسعد يا بومة.

وأخذا يتجاذبا أطراف الحديث حتى وصل نشأت ومدحت معًا، كانا يقطنان في نفس الحي ويذهبا إلى العمل سويًا، تعرفا بعضهم البعض..

نشأت: أهلًا يا شريف.

رحب به نشأت كثيرًا، كان بدينًا يرتدي عوينات سميكة الاطار

وسميكة العدسات، كان كرشه كأنه نزل دورين ليجلب بعض الأغراض ولم يصعد مرة أخرى.

همس شريف يكلم نفسه: شكلي هيجيلي توحد في عزبة القرود دي.

أخذ شريف بعض الأوراق وأذون الصرف متوجهًا إلى المخزن لصرف بعض قطع الغيار اللازمة لصيانة الأجهزة التي سوف يعمل على إصلاحها اليوم.

توجه عبر ردهة طويلة، طلب المصعد وانتظر، وصل المصعد وصعد إلى الدور الأول للحصول على بعض الموافقات الإدارية قبل التوجه إلى المخزن و إذ به منهمكًا فى ترتيب أوراقه يجد صوتًا انثويًا يناديه: إزيك يا شريف.

رفع رأسه إذ به يجد نيللى أمامه.. متوسط دقات قلب أى إنسان عادي ما بين خمس وستين إلى ثمانين دقة في الدقيقة، شعر شريف بخفقان قلبه، شعر بقلبه يدق ثلاثمئة دقة في الدقيقة، ربما لم يصدق أنها أمامه.

شريف: إيه ده نيللي؟! إزيك، أنتي بتعملي ايه هنا؟

نيللى: أنت اللي بتعمل ايه هنا؟

سألته وانصرفت.. توجهت إلى مكتب البنهاوي مباشرة.

أخذت الحيرة والفضول به وهو يسأل نفسه: ماذا أتى بها إلى هنا يا ترى؟

وجد أمامه عم إدريس صندوق الشركة الأسود، وربما يعمل لدى المخابرات المركزية الأمريكية أيضًا وسأله: مين دي يا عم إدريس؟

رد عليه عم إدريس بابتسامة من يعرف كل شيء: دي مالكش دعوة بيها، دي تخص البنهاوي بيه.

ساله شريف فى براءة: بنته؟

رد عم إدريس بصيغة الذي يعلم كل شيء.. سرد لشريف قصة نيللى وأنها كانت تعمل كسكرتيرة خاصة للبنهاوي، وأنها جاءت إلى الشركة قطة مغمضة -على حد تعبيره- وظلت تعمل منذ تخرجها

في الشركة حتي توفيت زوجة البنهاوي، وبعد وفاة زوجتة بشهور تزوج نيللى.

وشرح عم إدريس لشريف أنها كانت تشاغل البنهاوي.

شعر شريف بصدمة.. شعر بخيبة أمل، وهمس شريف لنفسه: ربما يكذب عم إدريس،الله يحرقك يا عم أبو قردان أنت.

مضى شريف فى طريقه وهو يجر خيبة الأمل معه.. تشوشت الرؤية وتداخلت..

فتحت نيللى باب مكتب البنهاوي وكان البنهاوي جالسًا على أريكة جليدية يدخن سيجاره الفاخر من ماركة هافانا، ويشاهد التلفاز، كان قد وضعه على خاصية كاتم الصوت، وكان يشاهد إحدى القنوات الرياضية.

نيللى: صباح الخير يا عطوفتي.

عاطف: صباح الخير يا حبيبتي.

ثنت جذعها تحضن البنهاوي وهو جالس أبعد البنهاوي سيجاره كي لا يحرق شعرها الذي كلفه ربما ثروة.

نيللى: إيه بقى؟ أنا روحت المعرض قالولي إنك مكلمتش حد وإن العربية الجديدة مش جاهزة.

عاطف: عربية إيه يا نيللى؟ ما أنتي معاكي عربية مكملتش سنتين.

أثار غضب نيللي. هي حينما تزوجت البنهاوي ووافقت على فارق السن بينهما، كان فقط لمجرد الثروة، فهي تنتظر أن ترث البنهاوي، شعرت من مواقف سابقة أن البنهاوي لم يعد كما كان، لم يصرف عليها ببذخ كالعادة، خرجت من مكتبه في عصبية وهي ترتدي نظارتها الشمسية متوجهة إلى سيارتها.

اتصلت بصديقتها المقربة سارة وأخذت تسرد لها ما حدث، ثم أنهت المكالمة: خلاص أشوفك بالليل في النادي.

* * *

أنهى شريف عمله اليومي بعدما تحمل زملاءه في العمل من نقص وعقد نفسية فيهم. كان شخص مجتهد لا يرى سوى مسؤولياته.

رجع إلى المنزل ومارس طقوسه اليومية من غداء وما إلى آخره، وإذ بهاتفه المحمول يرن..

شريف: الوو إزيك يا أبو كمال.

كمال: بقولك إيه فاضي أعدي عليك نروح النادي؟

شريف: مش قادر أنزل يا كمال، خليها يوم تاني.

كمال: يا عم انزل أنا تحت البيت عندك.

أردف كمال: على فكرة نيللى هي اللي كلمتني وقالتلي أكلمك وأجيبك.

شريف: نيللي؟

قالها في استغراب.

شريف: دي عايزة إيه؟

كمال: لا دماغك متروحش لبعيد، هى حكتلي على اللي حصل، هي عايزة تتكلم معاك.

شريف : طيب ربع ساعة وأنزلك.

نزل شريف ولبس ملابس رياضية. وصلا إلى النادي ووجدا نيللي جالسة مع صديقتها سارة.

كمال: تعالي يا سارة، عايزك في كلمتين.

جلس شريف في الكرسي المقابل ل نيللي في نفس مكان اللقاء الأول.

كان مرتبكًا. كم هو غبي، مغفل، كم هو لا يعرف أن يحكم على الأشياء..

بدأت نيللي الكلام: أنا كنت عايزة أشرحلك حاجة، أنا لما شوفتك في الشركة اتفاجئت، وكنت عايزة أوضحلك إني مش أنانية ولا طماعة، علشان أكيد لما شوفتنى في الشركة سمعت كلام.. أنا كنت بشتغل في الشركة دي من تلات سنين، وكان البنهاوي بيعاملنى كويس زي بنته، مع إني كنت شاكة إنه عايز حاجة مني، فى يوم لمسني وأنا بدخله أوراق، هزقته وسبت الشغل ومشيت، لاقيته بيكلمني تانى يوم وعرض عليا الجواز واتجوزنا، كانت مراته مدام عفاف لسة متوفية.

شريف: دي حياتك وأنتي حرة، مش مفروض إني أتدخل.

نيللي: أنا حبيت أشرحلك، حسيتك مختلف من أول مرة شوفتك فيها.

أخذا يتجاذبا أطراف الحديث حتى أتى كمال وسارة، جلسا سويًا وانهمك شريف مع نيللي في الحديث، وأخذ شريف يفتح قلبه لنيللي وأخذت نيللي تشرح كيف كانت أيامها قبل الزواج من البنهاوي، وأن ذلك حدث رغمًا عنها وأنها من عائلة فقيرة، وأن زواجها من البنهاوي كان بمثابة إنقاذ لها من الفقر -على حد تعبيرها-، تبادلا أرقام الهواتف معًا.

* * *

وصل هيثم إلى مطار القاهرة قادمًا من فرانكفورت وسط صخب المسافرين وهو يحمل حقيبة ظهر ومعه بنتيه وزوجته، وكان البنهاوي على علم بموعد الوصول وكان قد أرسل سائقه الخاص إلى المطار ليقل هيثم وزوجته وأولاده.

وصلا إلى الفيلا. كانت فى كومباوند فاخر في حي الشيخ زايد.. كانت فيلا كبيرة بحمام سباحة وذا ذوق من النوع الكلاسيكي.

سمع البنهاوي صوت السيارة وهمّ مسرعا إلى باب الفيلا ليستقبل ابنه الوحيد وأحفاده.

كانت علاقته بزوجة ابنه علاقة فاترة، احتضن ابنه بقوة واحتضن البنات واحتضن زوجة ابنه في فتور.

عاطف: وحشتني أوي يا هيثم، بتيجي كل كام سنة لما تفتكر أبوك الغلبان. مش ناوي تيجي بقى.

هيثم: والله نفسي يا بابا، بس أنا خلاص مقدرش أسيب المانيا، مبسوط هناك.

كان هيثم على علم بزوجة أبيه نيللي، وكان يتقبل الموضوع فهو شخص أوروبي يعلم جيدًا أن زواج أبيه مهم حتى لا يكون وحيدًا، وكان البنهاوي يشتكي لهيثم من حين لآخر مدى طمع نيللي وكثرة طلباتها.

أخذا يتحدثا حتى أتت الخادمة لتخبرهم أن المائدة جاهزة.

* * *

ذهب شريف إلى العمل. دلف إلى مكتبه وجد السيدة بومة ونشأت ذا الكرش المتدلي ومارس عمله اليومي وانهمك.

مرت بضع ساعات وإذ بمدحت يدخل غاضبًا، سأله شريف: مالك يا أ. مدحت؟

مدحت: أنا مش فاهم البنهاوي ده عايز منى إيه؟ وعدني أكتر من مرة إنه هيزود مرتبي، أنا حقي أكتر من كدة، وكل مرة يقولي مش وقته.

لم يجد شريف ما يهدئ به من روع أ. مدحت.

خرج مدحت إلى الخارج وظل يردد في غضب:

أنا مش هسيب حقي، أنا مش هسيب حقي.

كان شريف قد قابل نيللي أكثر من مرة بعد لقاءهم الأخير في النادي..

كان الحب قد وصل ذروته، وكانت نيللي تنوي طلب الطلاق من البنهاوي مع الحفاظ على حقوقها فهي تحب شريف ولا تقدر على فراقه.

رن هاتف شريف كانت من تتصل به هي نيللي:

الو وحشتني يا شريف.

شريف: وأنتي أكتر يا حبيبتي.

نيللي: بقولك إيه، أنا مسافرة العين السخنة النهاردة فرح واحدة صاحبتي مجنونة هتعمل فرحها على الشاطئ.

شريف : دي مجنونة فعلًا، احنا في عز البرد والدنيا مطرة ومش مضمونة.

نيللي: أهو بقى يا سيدي، بقولك إيه، ما تيجي معايا

شريف: لا يا نيللي مش هينفع، احنا مش عايزين نعمل مشاكل، أخاف حد يشوفنا مع بعض.

نيللي : متخافش دي صاحبتي الأنتيم وعازمة ناس قليلة وهى ليلة بعدين أنا هبات وإنت ارجع لو عايز.

فكر بعمق شديد هو لا يقدر أن يرفض ذلك الطلب لكن خوفه وحرصه يمنعانه.

رد مسرعًا: طيب يلا هاجي معاكي، حتى بكرة الجمعة اجازة.

أنهى عمله في تمام الرابعة والنصف وذهب إلى البيت ليأخذ بعض الأغراض وكان قد تواعد مع نيللي أنه يقابلها في مكان ما على الطريق الدائري. أتت نيللي في الموعد.

شريف: حد قالك إنك مجنونة قبل كدة؟!

ضحكت نيللي وهي تقول: مجنونة بحبك يا حبيبي.

وصلا إلى إحدى الفنادق الفاخرة في العين السخنة وأخذت تعرف شريف بالحاضرين

وكانت نانسي العروس ترحب بالضيوف حين رأت نيللي.

قالت لها: مين ده يا نيللي؟ .. بصوت خافت.

نيللي: ده شريف يا نانسي، ما أنا حكيتلك عنه.

نانسي: أنا متخيلتش إنك هتجبيه، وكمان مكنتش عاملة حسابي، مش محجوزله أوضة.

نيللي: يا ستي مش مشكلة، هخليه يغير هدومه في أوضتي لما أخرج منها.

نانسي: والله؟ أنتي هتعملي دخلة النهاردة يا نيللي؟ أنتي بتستهبلي؟

نيللي: بلاش دماغك الوسخة توديكي لبعيد، بعدين أنتي عشان عروسة ف شايفة الدنيا كلها سراير.

وضحكا ثم انصرفت نانسي للاستعداد ولبس فستان الزفاف..

كان شريف قد جلس على البار وطلب كوب قهوة ولف سيجارته وأشعلها ثم أتت نيللي من خلفه واقتربت منه بحيث لمس صدرها ظهر شريف

وشرحت له أنهما سوف يصعدان إلى الغرفة سوياً كي يبدل ملابسه فيها لأن لا غرف في الفندق، تسللا إلى الغرفة واستغلا انشغال موظفين الاستقبال مع وابل الحاضرين، صعدا إلى الغرفة وخرج شريف إلى الشرفة يتأمل البحر.

كان المشهد خلاباً حقًا..

كانت الغيوم تنذر بتساقط أمطار غزيرة، كانت سوداء اللون، تداخلت مع لون البحر الأزرق جدًا.. استنشق هواء البحر النقي الغني باليود وهو يتأمل الوضع، هو كان يحب نيللي منذ أول لقاء لهما، وكان في داخله تلك الرغبة في احتضانها، أخرج علبة التبغ كي يلف سيجارة أخرى، وجد أنه نسيها في البار، كانت نيللي في المرحاض تأخذ حماماً دافئًا في تلك الأجواء الباردة، تحدث بصوت عال:

نيللي أنا هنزل أجيب علبة السجاير، نسيتها تحت.

ردت نيللي:

ماشي يا حبيبي متتأخرش.

وجد علبة التبغ على البار التقطتها وصعد سريعا، فتح باب الغرفة وجد ما لم يكن يحلم به أبدًا،

لحظة خروج نيللي من الحمام وهى تلتف بشكير أبيض كبير، ارتبك كثيراً، قالت نيللي:

مش تخبط يا شريف.

آسف فعلًا، أنا هقف في البلكونة.

دخلت نيللي الحمام مرة أخرى وأكملت ملابسها.

نزلا إلى حفل الزفاف وكانت إدارة الفندق تعلم أن هناك أمطار غزيرة، لذا قاموا بعمل ستائر ومظلات كي تحجب الأمطار عن الحضور.

كان المشهد رومانسيًا جدًا لحظة الغروب والشمس تغيب داخل البحر الأزرق وتتلاشى وتفنى وبدأت الأمطار في السقوط..

اشتد هطول الأمطار على نهاية الحفل.

قال شريف:

أنا لازم أرجع بقي.

نيللي: هترجع فين؟ مش شايف الجو؟!

شريف: مش هينفع يا نيللي، هقعد فين؟

نيللي: تعالى نام في الأوضة، وأنا هنام مع صحباتي هقولهم أي حاجة.

صعدا إلى الغرفة، كان الجو قارص البرودة في الخارج وكانت نيللي تاركة المكيف الساخن يعمل في الغرفة، فوجدا الغرفة دافئة أيضًا في داخلها.

هما يعلمان جيدًا أن كلا منهما يريد الآخر، دخلا إلى الغرفة ومعم الشيطان..

يقولون ما اجتمع رجل وامرأة إلا وثالثهم الشيطان.

كان مع شريف ونيللي ثلاثمائة شيطان على أقل تقدير ومن جنسيات مختلفة.

لا أحد يستطيع أن يفصل بينهما الليلة، كانت الرغبة قد وصلت ذروتها

دخلا، أمسك بمعصم نيللي التي بدورها همست:

بلاش يا شريف.

احتضنها بعنف فبادلته الإحساس وهي مستسلمة، فلا يوجد ما يمنعها من داخلها.

دفعها إلى الفراش واعتلالها كفارس محترف ونام معها بقوة، بقوة ثلاثمائة فارس في حرب المسلمين ضد المغول.

ناما حتى الصباح، استيقظا في الصباح الباكر كان وجه نيللي صافيا وكذلك شريف

نيللي: صباح الخير يا حبيبي.

شريف: صباح الفل على أحلى نيللي في الدنيا.

أفاقت نيللي ثم دخلت إلى الحمام كي تأخذ حماماً دافئًا، فالجو أصبح باردًا فجأة، قد تسرب الدفئ الكامن داخلها ليلة أمس إلى الخارج.

كانت لا تشعر بالجو أصلًا ليلة أمس، فلو كانت درجة الحرارة تحت الصفر.

تناول شريف علبة التبغ، أشعل لفافة تبغ وكان قد أعد كوب من القهوة سريعة التحضير، شعر ببرودة الجو أيضًا، غاص تحت الغطاء مرة أخرى، أخذ نفس من سيجارته وارتشف من كوب القهوة، كان ذهنه صافيًا لا يفكر في أي شيء سوى ما حدث ليلة أمس، يسترجع ما حدث ويبتسم.

أنهت نيللي حمامها ثم خرجت، قال لشريف:

ادخل خد شاور وأنا هنزل أستناك في المطعم نفطر، مش هينفع حد يشوفنا مع بعض نازلين.

دخل شريف إلى الحمام كي يستعد للنزول..

قامت نيللي بالاستعداد أيضًا، ارتدت ملابسها ونزلت إلى مطعم الفندق، ولم يتأخر شريف ونزل أيضًا سريعًا بعدها..

تناولا الافطار في سعادة عروسين كان زفافهم بالأمس، أخذا يتحدثا حتى أنهيا الافطار وجلسا بالخارج، كان شريف يريد أن يدخن لفافة تبغ ويتأمل نيللي والجبال والبحر.

بعد حوالى ساعتين صعدت نيللي إلى الغرفة كي تجمع أغراضها كي يستعدا للرحيل، كان شريف على عجلة من أمره لأنه تأخر على أمه، فهو ليست من عادته النوم خارج المنزل، كان يقلق على أمه كثيراً.

رجع شريف إلى بيته وهو يشعر بأنه لمس النجوم، كأنه مشيَ على السحاب وظل يلتقط النجوم كحبات رمل على الشاطئ.

دخل إلى المنزل وجد أمه جالسة تشاهد التلفاز على إحدى قنوات الطبخ..

شريف: مساء الخير يا أمي.

الأم: أهلًا يا حبيبي حمدًا لله على السلامة، أخبار السفرية إيه؟ اتبسطت؟

شريف: أيوة يا أمي الحمد لله.

قالها في ارتياح وهو يسند رأسه على الكرسي.

رن هاتف شريف وكان حسام صديقه على الهاتف..

كان لم يره منذ فترة طويلة، اتفقا أن يأتي حسام إلى المنزل، كان يأتي حسام إلى منزل صديقه شريف أيام الدراسة في الجامعة وكانت أم شريف تعرفه جيدًا وتحبه لخفة ظله.

رن جرس باب المنزل..

شريف: اتفضل يا حووس.

حسام: بقالك فترة مختفي.

جلسا في غرفة شريف وأعدت أم شريف لهما كيكة برتقال مع الشاي مراسم ضيافة حسام المعتادة.

اتكأ حسام على السرير كعادته وأخذ يتأمل الغرفة وصورهما معًا أيام الجامعة، وجلس شريف على كرسي المكتب المتهالك ربما كان من عصر الملك جورج السادس.

اخذا يسترجعا الذكريات..

ثم قال حسام: أنا مسافر السعودية أول الشهر، جهزت ورقي خلاص، وكانوا عايزين مهندسين كتير لو تحب تيجي والمرتب جميل.

شريف: فيك الخير يا حسام وربنا يوفقك بس مش هينفع، أنا مبسوط في الشغل وكمان ماما هتروح فين؟!

حسام: أيوة طبعا فاهم بس أهو لو حبيت تيجي كلمني أنا هبعتلك رقمي السعودي أول ما أوصل أو كلمني على الفيس.

جلسا سويًا أكثر من ساعتين ثم انصرف حسام، احتضن صديقه بحرارة، ربما لن يتقابلا إلا بعد سنوات طويلة، من يدري؟

جلس شريف يتأمل ويسترجع أفكاره، لا بدّ من اختيار طريقة، لا بدّ أن يعلم هل علاقته بنيللي وحبه لها صواب أم خطأ فادح؟ وهل سيعرف بعد فوات الأوان أم ماذا؟

كانت نيللي تجلس في منزلها مع البنهاوي، كان جالسًا في غرفة مكتبه، كان يفضل أن يعمل حتى في المنزل، وهى جالسة في الحديقة تتحدث إلى صديقتها سارة تتحدث معها عن آخر صيحات الموضة وأفضل الألوان وما إلى ذلك.

حين انتهت دخلت على البنهاوي غرفة مكتبه، في فتور قالت له:

أنا محتاجة فلوس يا عاطف.

رد عاطف وهو ينظر إلى هاتفه وكان يقرأ مقال عن آخر تطورات السوق والأعمال،

رد في فتور:

ليه يا نيللي ما أنتي لسة واخدة من أسبوعين عشرين ألف، لحقتي تخلصيهم؟

نيللي: أعملك إيه ما أنت عاملي ليميت في الفيزا.

رد عاطف وهو ينظر إليها:

خدي من الدرج عشرة آلاف واعملي حسابك إن بعد كدة هما عشرين ألف في الشهر بس.

ردت في غضب:

أنت بتعمل معايا كدة ليه؟ أنا مش فاهمة أمال اتجوزتني ليه؟ لما أنت مش طايقني

طلقنى يا أخي، أنت حتى مرضتش تكتبلي مؤخر محترم زي الناس، حرام عليك حرام عليك.

شعر عاطف بأنها تستغله، كان يراوده احساس الاستغلال من ناحية نيللي دائمًا.

كان شريف في مكتبه يمارس عمله اليومي، وكان قد حصل على بعض الترقيات وزيادات في راتبه نظير فنائه واجتهاده في العمل.

كان نشأت جالس في المكتب المقابل، كان يقرأ مقالة عن طبيب يداوي بالأعشاب.

قال شريف في ملل:

انت بتصدق الكلام الفاضي ده يا عم نشأت؟

همس يكلم نفسه: شوف حاجة لكرشك ده... وضحك في صمت.

جاء موعد الراحة اليومية وأخذ شريف شطيرة كانت أمه قد أعدتها له وصعد إلى الرووف ليأخذ راحته..

وقف المصعد في الدور الأول، وجد البنهاوي أمامه، كان صاعدًا للدور الثاني..

البنهاوي: عامل إيه في الشغل يا شريف مبسوط؟

شريف: الحمد لله يا فندم مبسوط.

نزل البنهاوي في الدور الثاني وأكمل شريف إلى الرووف..

كان شريف يعلم بأن البنهاوي ليس بالرجل السهل، وهو يقيم علاقة مع زوجته، أدرك شريف تلك القضية، كانت ربما غافلة عنه أو هو أراد ذلك.

لربما علم البنهاوي بتلك الخيانة..

لم يعتبرها شريف خيانة يومًا، فهي علاقة حب مشروعة من وجهة نظره.. نيللي لا تحب ذلك الرجل، هي لا تريده.

أخذ يصارع نفسه، تحول إلى شخصين يتكلمان.

نزل إلى مكتبه بعد أن أنهى راحته التي تحولت إلى مشادة كلامية بينه وبين نفسه.

رجع إلى البيت نام قليلا.. استيقظ على نغمة هاتفه... كانت نيللي:

صحي النوم، أنا كلمتك خمسين مرة.

شريف: كنت نايم مسمعتش.

نيللي: طيب ما تيجي نروح أي مكان.

شريف: مش هينفع النهاردة ماما عندها معاد دكتور .. خليها يوم تاني.

نيللي: سلامة ماما يا حبيبي.

تحدثا قليلًا ثم أنهيا المكالمة.

كان قد مر أربعة أشهر على لقاء نيللي وشريف في العين السخنة.

كان البنهاوي يقوم بتجديد رخصة سيارته ورخصة سيارة نيللي على الانترنت فوجد مخالفات مرورية قام بدفعها وانهاء بعض الاجراءات فوجد مخالفة تم التقاطها.

استخدام الهاتف أثناء القيادة ... هم بفتح المخالفة وهو يهمس: هتفضل مهملة طول عمرها.

وإذ به يجد رجل يجلس بجوارها، ونوع تلك الصور لا تكون دقيقة، فهو عرفها من السيارة وشكل شعرها أما ذلك الرجل فهو لا يعرفه، كانت أشعة الشمس متجهة علي وجهه بقوة.

شعر بغضب، احمرت أذناه، قام منتفضًا من مقعده، ماذا أفعل؟

حاول أن يهدئ من روعه، همس قائلًا: ما يمكن حد كانت بتوصله معاها.

ظل يفكر ويفكر حتى تذكر اسم الفندق الذي نزلت فيه، كانت قد ذكرته أمامه قبل ذهابها.

اتصل فوراً بصديق قديم له، كان يعمل في مجال السياحة.

عاطف: ألو إزيك يا عاصم.

عاصم: أهلًا يا عاطف، واحشنى يا راجل.

عاطف: وأنت كمان، بقولك إيه؟ تعرف حد في أوتيل اسمه فينسا هايتس السخنة؟

عاصم: لا معرفش بس أشوفلك، عايز حجز ولا إيه؟

رد عاطف: لا خالص، أنا كنت لسة هناك وفي حاجة ضاعت مني وكنت عايز أشوفها.

أغلق الهاتف وهو يحاول أن يتمالك أعصابه ... كان البنهاوي رجلًا عصاميًا صنع نفسه بنفسه، صنع تاريخه وثروته بعرق وكد، حاول جاهدًا أن يتمالك نفسه ليفكر بعقل بارد، هو يعلم جيدًا أن المشاكل لا تحل إلا بهذه الطريقة لأن في أغلب الأحيان العصبية في المشاكل تصنع مشكلة أكبر.

مارس عمله اليومي وحاول أن يتناسى الموضوع حتى يجد حلًا.

كان جالسًا على مكتبه وأمامه حاسوبه المحمول، تذكر زوجته، أخذ نفسًا عميقًا، استرجع ذكرياته معها ثم أمسك بهاتفه واتصل بهيثم حتى يطمئن عليه:

ألوو، إزيك يا حبيبي وازي البنات.

هيثم: الحمد لله يا بابا، طمني عليك.

البنهاوي: الحمد لله، لازم تيجي يا هيثم تمسك الشركة، أنا كبرت ومش هعيشلك طول العمر.

لم يعطِ فرصة لهيثم كي يرد عليه في أي شيء، فهو يريده بجواره حقًا، شعر بالوحدة فجأة..

هيثم: طيب يا بابا أنا عندي شغل في مصر تبع الشركة، مفروض هنزل خلال شهر هقعد تلات أيام، هجيلك ونتكلم في الموضوع ده ونشوف هنعمل إيه.

قال البنهاوي لابنه:

تعالى وامسك الشركة بالأسلوب اللي يعجبك.

كانت نيللي جالسة في النادي، كانت قد مارست بعض المشي السريع، رياضتها المفصلة، وجلست لتستريح وتحتسي بعض من عصير البرتقال الطازج المفضل لديها، رن هاتفها كان البنهاوي مَن يتصل، كان قد فكر مليًا واستقر ألا يواجهها حتى يتأكد من شكوكه.

اطمئن عليها وسألها ما اذا كانت ستعود إلى المنزل وقت الغداء وأكدت عليه أنها سوف تعود للمنزل تمام الخامسة.

أغلقت الهاتف واتصلت هي بشريف كي تطمئن عليه وسألته عن خططه نهاية الأسبوع ومتى سيتقابلان لأنها تفتقده كثيراً.

ظلت تحدثه وهى تمسك بخصلة من شعرها، عادتها عندما تكون سعيدة.

أخبرها شريف أنه سيعاود الاتصال بها مرة أخرى لأنه مشغول جدًا وأكمل عمله..

كان البنهاوي قد ذهب إلى اجتماع خارج الشركة مع إحدى الشركات المتعاملة معه حتى جائته رسالة نصية ما لبث أن بدأ بقرائتها حتى رن الهاتف، كان عاصم صديقه، أخبره بأنه أرسل إليه رسالة نصية بها رقم هاتف مدير الفندق الذي قد سأل عنه، شكره البنهاوي وأغلق الهاتف.

قام بالاتصال بمدير الفندق وعرفه بنفسه، وأن عاصم هو من أعطاه الرقم، سأله البنهاوي عن زوجته نيللي التي أقامت في الفندق لمدة ليلة في حفل زفاف، وأكد له مدير الفندق أنها كانت تقيم بالفعل ولا يعلم ماذا يريد البنهاوي.

كان البنهاوي يعلم أن طلبه لن يتم في الهاتف، لذا أخبر مدير الفندق أنه قادم إليه غدًا باكرًا للتأكد من شيء ما، وليتناقش معه في إقامة حفل كبير لموظفي الشركة في الفندق.

رحب مدير الفندق كثيراً..

كان البنهاوي ينتظر غدًا بفارغ الصبر، أنهى البنهاوي أعماله وعاد إلى المنزل متأخرًا قليلًا.

وفى تمام السادسة صباحًا استيقظ واستقل سيارته، كان من عادته أن يقود السيارة بنفسه في بعض المشاوير الخاصة، هو لا يريد من أحد أن يعلم أين هو اليوم بالتحديد..

وصل إلى الفندق بعد ساعتين، دلف إلى بهو الفندق، كان مدير الفندق في انتظاره، أخذا يتحدثان قليلًا واحتسى فنجان قهوة بدون سكر كي يفيق من عناء الطريق.

تحدث إلى مدير الفندق عن الحفلة الوهمية التي يريد فقط أن يجعل مدير الفندق ينفذ طلباته.

ثم قال: أنا كنت محتاج أشوف الكاميرات عشان أتأكد من حاجة، وطبعا ده بيني وبينك.

رد مدير الفندق: ده ممنوع يا بنهاوي بيه.

أخذ يشرح له الوضع، وبأن زوجته كانت هنا، وأنه فقط يريد أن يتأكد من شيء ما، وأن مشاهدة الكاميرات مسألة حياة أو موت.

بعد إلحاح شديد منه نزل مدير الفندق إلى رغبته واستدعى مدير أمن الفندق وأخبره أن يدع البنهاوي بيه يرى الكاميرات يوم الزفاف..

اطلع البنهاوي على الكاميرات ووجد الكارثة، شاهد شريف ونيللي في ردهة الغرف وهما يدخلان الغرفة معًا.

شعر بأن جبال القطب الشمالي مستقرة فوق رأسه وأن جسده يخلو تمامًا من أي قطرة دماء.

ثم قال بمرارة: شريف!!

أخذ بضع دقائق يستوعب الموقف، كان مدير أمن الفندق قد تركه ليذهب إلى الحمام، أخذ البنهاوي لقطات بهاتفه من الكاميرات، ثم شكر مدير الفندق وأخبره بأن زوجته لم تنسَ حقيبتها كما يعتقد.

وعاد إلى القاهرة مسرعًا..

اتصل ب نيللي يخبرها أن تأتي إلى البيت حالًا لأنه يريدها في أمر هام..

وصل الفيلا وجدها في انتظاره، قبل أن يتحدث صفعها على وجهها ثم أمسك بشعرها وجذبها بقوة: بتخونيني مع صرصار يا واطية! بعد ما لميتك من الشارع وصرفت عليكي بتخونيني؟

نيللي: أنت مجنون بخونك مع مين؟

قالتها وهي تنهار بالبكاء ومصدومة من هول الموقف فهي تعلم ما فعلت لكن كيف كشفها البنهاوي؟ كانت تتساءل.

أخرج هاتفه بيده الأخرى ثم واجهها: مع الكلب ده.

سحبها إلى غرفة مكتبه وأمرها أن توقع على ورقة ابراء من كافة حقوقها كزوجة..

تركها ثم قال لها في غضب:

أنتي طالق، اخرجي من بيتي زي ما دخلتي من غير حاجة.

جلس على الكرسي يستجمع قواه..

أشعل سيجار، أخذ نفس لعله يهدأ بفعل النيكوتين..

أخذ نفس وأخرجه ببطئ حتى يمتص لعاب فمه النيكوتين ويجري في دمه، أخذ نفسًا آخر وأغمض عيناه، ثم انتبه فجأة وقال:

طيب يا شريف الكلب.

خرجت نيللي واستقلت سيارتها ولم تتمالك نفسها من الموقف، جمعت قواها واتصلت بشريف

كان في المنزل مستلقيًا على الفراش، أخبرته بما حدث..

انتفض من فراشه وحدقت عيناه في صدمة:

وأنتي فين دلوقتي؟

أخبرته أنها في سيارتها وأنها ستذهب إلى صديقتها سارة تقيم معها بضعة أيام.

أشعل شريف لفافة تبغ بيد مرتعشة..

قرر ألا يذهب إلى العمل لأنه كان يهاب البنهاوي كثيراً ولا يدري ما يدبره له البنهاوي.

بعد مرور أسبوعين، أتى بالفعل جواب من القوى العاملة تفيد بأن الشركة أقالته بسبب الانقطاع عن العمل.

لم يهدأ البنهاوي..

شريف يعلم أن الموضوع لن يمر بسهولة ودون عقاب، كان مرتبكًا جدًا خلال تلك الفترة، لم يتصل بنيللي.

وظل يفكر ويفكر..

بعد أربعة أشهر..

كان شريف مارًا من أمام الشركة، كانت لديه بعض مقابلات العمل في نطاق حي الشيخ زايد حيث تجمع لأكبر الشركات، وجد سيارات شرطة وسيارة اسعاف.

سأل موظف الأمن مستغربا:

هو فيه إيه يا عشري؟

عشري وهو يشعر بمدى المصيبة التي حطت فوق رأسه ورأس أمن الشركة كله..

رد عشري وهو لا يدرى بالدنيا وأنه لم يرَ شريف في الشركة منذ فترة، ولم ينتبه، كان واقع الصدمة أكبر من أي شيء:

مصيبة، مصيبة يا بشمهندس، لقوا البشمهندس عاطف سايح في دمه في المكتب.

شريف: إيه؟ بتقول إيه؟ يا نهار أسود!

عشري : هو أسود بعقل دي مصيبة.

تم وضع كوردون حول الشركة، فالمكان الآن تحت سيطرة رجال الشرطة والطب الشرعي والبحث الجنائي.

كان مسموح فقط بدخول الموظفين على أن يجلسوا في الاستقبال حتى يتم استجوابهم فرد فرد من قبل المباحث..

كان جميع الموظفين حاضرين في الاستقبال..

أتى ضابط المباحث الرائد محمد الديميري.. صعد إلى مسرح الجريمة في حضور مساعده النقيب أيمن الحلواني ووكيل النائب العام والطب الشرعي.

أخذ الديميري يتجول بعينيه في المكتب، يتفحص كل جزء فيه، وأخذ يملي ملاحظاته للنقيب أيمن الحلواني الذي بدوره أخذ يدون كل الملاحظات.

عادة ضباط المباحث ووكلاء النيابة وخبراء الطب الشرعي أن يتعاملوا مع مسرح الجريمة بحرص بالغ، فهم يعلمون جيدًا بأن كل جزء من مسرح الجريمة مهم جدًا، ربما يحمل حل لغز القضية.

نظر على الأرض، لفت انتباهه لفافة تبغ ملقاة على الأرض رغم وجود طفايات للسجائر على المكتب وأمام الأريكة.

تم استجواب كل من كانوا حاضرين في اليوم السابق وتم التوصل إلى أن الجريمة تمت ما بين الساعة التاسعة والواحدة صباحا، وكان لا بدّ أن كل فرد تم استجوابه يثبت أين كان أثناء هذه الفترة..

تم أخذ الجثة إلى المشرحة..

خرج محمد الديميري من مكتب البنهاوي وكان قد همس أيمن الحلواني في أذنه: اللي قاعدين هناك دول هيثم البنهاوي ودي نيللي مراته.

ضحك الديميري في صمت:

ازاى يا أيمن الواد أكبر من أمه!

سؤال تهكمي، هو طبعا يعلم جيدًا أنها زوجته الثانية..

ذهب إليهم في جدية مفرطة:

البقاء لله يا أ. هيثم.. البقاء لله يا مدام نيللي..

أنا عارف إن مش وقته بس أنا محتاج حضراتكم بكرة الصبح في المكتب ندردش شوية.

رد هيثم: اه طبعا يا فندم هنكون موجودين أي وقت. أنا لازم أعرف الكلب اللي عمل كدة.

كانت تبكي نيللي بمرارة.

هي لا تعلم هل تبكي على نفسها أم على البنهاوي؟!

انصرفوا جميعًا بعد أخذ كل بيانات العاملين وذلك للتحقيق فيما بعد.

اليوم الأول بعد الجريمة..

كان الديميري قد استدعى نيللي وهيثم معًا في اليوم التالي..

كان الديميرى جالسًا فى مكتبه، كان مكتبا ككل مكاتب ضباط الشرطة، ولا يخلو من لمسة الديميري، أمامه تلفاز كبير يتوسط مكتبة بها بعض شهادات التقدير وميلشيات فرق قد اجتازها وعلى الأيمن مكتبة بها بعض الأوراق الادارية من قضايا مغلقة وقضايا يعمل عليها بالفعل وبجوارها حوض لأسماك، وعلى يساره كنبة جلدية باللون الزيتي كان جالس عليها أيمن الحلواني مساعده.

الديميري: تفتكر يا أيمن مين اللي قتل؟

رد أيمن : والله يا محمد بيه الراجل ده ليه علاقات كتيرة جدًا، صعب نحدد، وعلى حد علمي إنه الكاميرات مكنتش شغالة بقالها أسبوع وكانوا طالبين حد يصلحها.

الديميرى: أه طبعا امال الحل يبقى سهل! لا ازاي! عمومًا هيثم ونيللي برة، دخلي هيثم الأول.

دخل هيثم إلى مكتب الديميرى، كان يبدو عليه الحزن حقًا، كان يحب أبيه، خصوصا بعد أن توفت والدته وكان يشعر دائمًا بالتقصير تجاه أبيه بطبيعة الحال لأنه خارج البلاد، وكان البنهاوي يعطيه دون حساب..

الديميرى: البقاء لله يا أستاذ هيثم.

هيثم: ونعم بالله يا فندم.

الديميرى: هو والدك كان ليه أي أعداء، أو كان ليه خلافات مع حد؟

هيثم: لا خالص يا فندم، كان راجل مسالم بيحب شغله وبس عمره ما عادا حد ولا حد عاداه ولا حكالي عن أي خلافات خالص، ومكنش بيحكيلي مشاكل الشغل، مكنش بيحب يشغلني..

ثم أردف:

أنا عايز أعرف تقرير الطبيب الشرعي، عايز أعرف اتقتل ازاي؟

رد الديميرى فى جدية مفرطة: لسة يا أستاذ هيثم تقرير الطبيب الشرعي مش بيطلع في يوم،

عمومًا هبلغك طبعا.. إنما إنت وصلت إمتى من المانيا؟

رد هيثم: أنا وصلت امبارح متأخر، جيت لوحدي من المطار على الشركة لأني عارف بابا بيحب ينزل بدري ومكنش يعرف إني جاي..

أنا جيت كان عندي شغل وكنت جاي أتكلم معاه لأنه ألح عليا كذا مرة إني آجي وأستقر في مصر وأمسك الشركة.

رد الديميرى: تمام اتفضل دلوقتي، ولو سمحت متسافرش، أجل سفرك شوية.

خرج هيثم من المكتب وفضل أن يقيم في أحد الفنادق حتى ينتهي التحقيق.

دخل أيمن الحلواني إلى الديميري ومعه ظرف كبير من إحدى الجهات الحكومية:

تقرير الطب الشرعي وصل.

فتح الديميري المظروف في فضول، ففي أغلب الأحيان يحمل التقرير حل الكثير من الألغاز. موعد الوفاة التقريبي وأسلوب القتل ونوع آلة الجريمة.

قال متحدثًا إلى أيمن:

اسمع يا سيدي..

سبب الوفاة شرخ طولي في الجهة اليمنى من الرأس بآلة حادة أدت إلى نزيف في المخ مما أودى بحياته.

مممممممم.. رد الحلوانى فى استعجال مقاطعا الديميري: اللي قتله كان أشول.

اندهش الديميرى:

ليه بتقول كدة!

وقف الحلواني وتحدث آمرا الديميري:

قوم اقف كدة سيادتك.. لو أنا واقف قدامك دلوقتي ومسكت مثلا البتاعة دي.

أمسك بإحدى الأنتيكات النحاس التي كانت تزين المكتب، ثم أكمل:

وخبطتك بيها وأنا ماسكها بإيدي اليمين، هخبطك هنا صح؟

وشاور بيده على الجزء الأيسر، ثم أكمل:

لكن لو مسكتها بالإيد الشمال.

وترك الديميري يكمل بقيت الجملة:

يبقى في الجزء اليمين.

أردف الديميري:

يبقى اللي قتله مكنش قاصد يقتله، يمكن حوار اشتد وصل للقتل.

رد الحلوانى: بالظبط كدا يا فندم.. وكمان احنا لاقينا محتويات المكتب والخزنة كاملين بناء على استجواب شيماء السكرتيرة، يبقى اللي قتله مش حرامي ومكنش ناوي يقتله.

رد الديميرى: كدة دايرة الاشتباه وسعت.. طيب دخلي نيللي.

رد الحلوانى: تمام سيادتك.

دخلت نيللي إلى المكتب، كانت مرتدية بنطال أسود وبلوزة سوداء ضيقة مطرز عليها وردة باللون الأسود أيضًا ونظارة كبيرة سوداء تخفى ملامح وجهها..

كانت محافظة على أناقتها المعتادة.

قال الديميري: البقاء لله يا مدام نيللي.

نيللي: حياتك الباقية ميرسي.

الديميري: أنتي كنتي فين وقت وقوع الجريمة؟

نيللي: كنت بايتة مع سارة صاحبتي، كنا شادين مع بعض أنا وعاطف.

لم تخبره نيللي بأن عاطف طلقها، فهو طلقها شفهيًا ولم يقم بالإجراءات القانونية أو يتصل بمحاميه.

الديميري: طيب يا مدام نيللي تشكي في مين؟

نيللي: مش عارفة يا فندم، عاطف مكنش بيحكيلي حاجة خالص. ومكنش ليه أعداء، صحيح ممكن في ناس بتكرهه بس مش لدرجة القتل.

الديميري: تمام يا مدام نيللي، لو سمحتي متتحركيش من القاهرة، ولو هتسافري ادينى خبر الأول.

هزت رأسها في موافقة..

كان قد تم استجواب كل العاملين، وكان الديميري ثعلب بمعنى الكلمة، فهو لا يتولى أية قضية إلا أن يقوم بفك طلاسمها، فهو يتبع أسلوب الثعلب في الاستجواب، يحاول أن يصطاد أية غلطة ليحولها إلى دليل يواجه به مَن يستجوبه..

جلس الديميري مع مساعده أيمن يتحدثا، أمره الديميري بتفريغ هاتف البنهاوي من مكالمات صادرة وواردة من آخر أرقام اتصل بها أو اتصلت به.

ففي أغلب الأحيان هو كان منتظر شخص ما في وقت متأخر..

انصرف أيمن ليتولى هذه المهمة..

اليوم الثاني..

كان شريف جالسًا في منزله يدخن بشراهة وفي توتر، هو يعلم بأن اذا افتضح أمر الخيانة مع نيللي، سيكون ذلك دليل قوي يكفي على الأقل بحبسه احتياطيًا..

كان الديميري قد اتصل ببعض الموظفين للاستجواب، كان من ضمنهم شريف ومدحت ونشأت وشيماء سكرتيرة البنهاوي الخاصة..

انتظروا جميعا خارج المكتب، وكان أيمن قد أنجز مهمته التي كلفه بها الديميري..

أيمن: اتفضل يا محمد بيه، الصادر والوارد، قدام كل رقم مدة المكالمة واسمه.

وكانت الورقة صغيرة تحتوي على خمسة أرقام..

هيثم ابن البنهاوي، كانت مدة المكالمة دقيقة وبضع ثواني.

إبراهيم مدير قسم المبيعات سابقًا، ثلاث دقائق.

سائق البنهاوي الشخصي، خمسة عشر ثانية.

شيماء سكرتيرته الخاصة، عشر دقائق.

مدحت مدير قسم الصيانة، دقيقتان.

نظر الديميري إلى أيمن وأخبره أن يضع الأشخاص تحت المراقبة الدقيقة، ثم قال: وهاتهملي أستجوبهم.

في اليوم التالي تم استدعاء القائمة..

كان إبراهيم أول الحاضرين..

الديميري: أهلًا أستاذ إبراهيم.

إبراهيم: أهلا يا فندم.

الديميري: أنت إيه علاقتك بالبنهاوي؟ على حد علمي ومن التحقيقات إن حصلت بينكم مشادة وتم طردك من العمل.

ارتبك إبراهيم كثيراً، هو يعلم جيدًا بأن الاتهام في جرائم القتل ليس بالأمر الهين، احمرت وجنتاه وهو يرد:

-ايوة يا فندم ده بيحصل في أي شغل، خلافات عادية.

الديميري: وهو عادي يا أستاذ إبراهيم إنك تتصل بالبنهاوي بعد رفدك بشهور؟

ارتبك إبراهيم مرة أخرى وقال: كان في صفقة كويسة وكنت عايز أعرضها عليه، قولت يمكن تعجبه، بعدين هو رجل أعمال ويهمه المكسب.

سأل الديميري إبراهيم أين كان ليلة الحادث من الساعة التاسعة

إبراهيم: كنت في البيت يا فندم.

الديميرى: عندك شهود؟

إبراهيم: آه، مراتي وبواب العمارة.

أردف الديميري: طيب اتفضل يا أستاذ إبراهيم ومتسافرش، هنحتاجك تاني.

انصرف إبراهيم في دخول مدحت، تقابلت عيونهم على الباب بسلام بارد يخلو من أي تعابير..

جلس مدحت..

قال الديميري: كان فيه أي مشاكل بينك وبين البنهاوي؟

مدحت: أبدًا يا فندم.

الديميري: بس باستجواب الموظفين قالوا إن كان فيه مشادة كلامية وانت خرجت وكنت بتقول مش هسيب حقي.

مدحت: كانت ساعة غضب يا فندم، أنا من أقدم الموظفين ومش معقول إني أقتله عشان مزودش مرتبي!

الديميرى: طيب أنت كلمته ليلة الحادث ليه؟

مدحت: كنت متعود أكلمه كل كام يوم بعد الشغل، كان بيحب يعرف أخبار الأجهزة وتعليقاتي كمهندس عليها، وهل هي أجهزة كويسة ولا لا من الناحية الفنية.

الديميري: طيب أنت كنت فين ليلة الحادث؟

مدحت: كنت عند ابني في المستشفى، كان عامل عملية الزايدة وكنت معاه.

أنهى الديميري التحقيق وكان يساوره شك ناحية مدحت، هو رجل هادئ بشكل ملفت، هل هو فعلًا كذلك أم يتصنع؟

كانت نيللي قد وصلت إلى المكتب، هى ليست من ضمن القائمة لكن طلبها الديميري لأمر هام..

قال الديميري: أنتي مقلتليش يا مدام نيللي إن البنهاوي طلقك!

تجمدت حبات عرق جبينها، نشفت أطرافها، شعرت أنها متهمة. ارتبكت ولم تسطع أن تُجيب.

نيللي: هو حضرتك عرفت منين؟

أجابها الديميري: احنا دردشنا مع المحامي بتاع البنهاوي وعرفنا منه إنه طلب منه ينهي أوراق الطلاق الرسمية، ودا كان بسبب إننا فتشنا الفيلا ولقينا الورقة دي، امضتك على التنازل عن كل حقوقك.. أقدر أعرف إيه سبب الطلاق؟ وليه خبيتي عليا؟

كانت نيللي لا تستطيع أن تحرك شفتيها: أنا قولت إنكم هتعرفوا.

قال الديميري: متخبيش علينا حاجة تاني، أنتي ممكن تتحبسي دلوقتي بتهمة تضليل العدالة.

ارتبكت نيللى كثيراً، هي تأكدت الآن أنّ ليس لها نصيب من الميراث الشرعي، فالبنهاوي قد طلقها رسمياً قبل الحادث..

خرجت نيللي من مكتب الديميري وهي شاردة الذهن، اتصلت بشريف وأخبرته أنها لا بدّ أن تراه الآن، وجدته في المنزل، كانت تعودت أن تذهب إليه في المنزل ويجلسا سوياً في غرفته، وكانت قد تعرفت إلى أمه وأحببتها كثيراً..

وصلت إلى المنزل وصفت سيارتها وصعدت، كانت تبكي وهي صاعدة، فهي تيقنت أن البنهاوي قد استغلها وأنها أعطته أكثر مما أخذت منه..

وجدت شريف منتظرها على باب المنزل، رأى دموعها من تحت نظارتها الشمسية، دون أي حديث احتضنها بقوة حضن أبوي يخبرها بأن الأمور ستكون على ما يرام، لا تحزني يا صغيرتي، إنّ المرأة أيًا كان سنها ومكانتها تحتاج إلى ذلك الحضن الأبوي، مهما كانت صلابتها

وقوتها وبأسها، فهي تريد أن يتم اخبارها بأن الأمور على ما يرام لا تخافي ولا تحزني.

دخلا إلى البيت أمام التلفاز، كانت تجلس أم شريف تطرز بعض الملابس، حين رأت نيللي تركت ما في يدها.

كانت نيللي قد تركت حقيبة يدها على أقرب كرسي وجثت على ركبتيها واحتضنت أمه ودمعت في صمت... تلك المرأة كانت دومًا مصدر قوة شريف وثقته بنفسه..

ملست على شعرها الناعم وأخبرتها أن مهما كان يقلقك فلا تخافي، كل شيء سينتهي.

كان في قديم الزمان ملك كبير طلب من أحد الحكماء أن يكتب له حكمة على خاتمه إذا رآها وهو سعيد يحزن، وإذا رآها وهو حزين يفرح، فكتب له الحكيم..

"إنّ هذا الوقت سيمر"

أي أن الوقت الذي تعيشه إنْ كان سيئًا فسوف يمر "لا تحزن"

وإن كان الوقت الذي تعيشه سعيدًا، فعليك أن تستعد لتقلُّب الأمور "احذر"..

حاولت أم شريف أن تخبر نيللي بأن هذا الوقت سيمر لكن بطريقتها الخاصة، أخبرتها بأنها قد أعدت ورق عنب ولحم محمر وأنها سوف تعد لهم الطعام.

ذهبت إلى المطبخ وجلست نيللي تسرد لشريف ما حدث مع محقق المباحث، وكيف أنه ثعلب ويحاور، وأنه قد علم بشأن الورقة.

كان الديميري جالسًا في مكتبه مع أيمن، وكان يعد لاستجواب سائق البنهاوي وهيثم بالطبع..

جلسا يتحدثان عن فك طلاسم تلك القضية التي ربما لن يتم حلها ابدًا..

الديميري: تفتكر يا أيمن مين اللي يتشك فيه؟

أمسك أيمن الحلواني ورقة كبيرة بيضاء وأخرج من جيبه قلم، وضع الورقة على المكتب وأخذ يكتب كل اسم وأمامه دوافعه..

أيمن: أولًا مراته أو طليقته، هي حست إن حقها هيضيع، كتِّبها تنازل وطلقها، بنت حلوة زيها، تفتكر سيادتك اتجوزت البنهاوي ليه؟

أجاب الديميري على سؤاله:

عشان فلوس الراجل، فجه الراجل بقى طلع أصيع منها، اتجوزها ومدهاش حاجة، فأكيد عايزة تنتقم.

أيمن: ومتنساش سيادتك إنها كانت عايزة تتفاهم معاه عشان تاخد أي حاجة، راحتله المكتب اتكلموا ما أخدتش منه حق ولا باطل، اتنرفز عليها ضربها بالقلم راحت بشكل لا إرادي خبطته بأقرب حاجة قدامها.

أشعل الديميري لفافة تبغ أخرى، كان في كامل تركيزه مع أيمن، قال: ها كمل.

أيمن: ثانيًا إبراهيم راجل مجتهد مكتفاش بالوظيفة وكان بيشتغل لحسابه، ولأن البنهاوي راجل طماع محبش إن إبراهيم يكبر، طرده بشكل مهين قدام الموظفين.. البنهاوي مكتفاش إنه طرده، لا كمان طلع عليه سمعة إنه حرامي في السوق، وسيادتك عارف هو كدة ممكن ميشتغلش تاني..

إبراهيم زهق، حب يروح للبنهاوي يتفاهم معاه يرجع الشغل مثلًا أو يسيبه في حاله راح الحوار اشتد، البنهاوي هدده، إبراهيم خبطه موت البنهاوي.

قال الديميري وهو يأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته:

بس دي بعيدة شوية لكن ممكنة طبعًا.

أكمل أيمن: ثالثًا مدحت، حاسس بالذنب ومش لاقي نفسه قدام جشع البنهاوي، حب يتكلم معاه ويسوي الموضوع بعيد عن

الموظفين لأنه راجل كبير ومش واخد وضعه، البنهاوي طرده مثلًا أو سبّه، مدحت اتهور..

رابعًا احتمال يكون حد تاني مش في دول وليه دوافع هتبان مع التحقيق.

أنهى أيمن حديثه وورقته أيضًا، نظر إلى الديميري وسأله: إيه رأي سيادتك؟

الديميري: إنت أخدت بالك من الصور اللي في موبايل البنهاوي كويس؟

أيمن: آه بصيت فيها.

الديميري: مفيش حاجة لفتت نظرك؟

أيمن: صور عادية.

سأل الديميري: حتى الصورة دي؟

كان قد أخرج صورة نيللي مع شريف التي قد التقطها البنهاوي من كاميرات المراقبة..

رد أيمن في استغراب:

أوباااااا ده كدة اللعب بيحلو..

مين الراجل ده؟ احنا ناقصين ألغاز!

الديمِيرى في هدوء:

أنا هجيبها بكرة وأسالها.

كان هيثم قد أقام في أحد الفنادق الفاخرة على النيل..

كان جالسًا على كرسي في الشرفة يتحدث مع زوجته وبناته مكالمة فيديو عبر ماسنجر، ويخبرهم بأنه لا يستطيع التحرك من مصر إلا بعد انتهاء التحقيقات..

أخبرته زوجته بأنها سوف تأتي إليه، رفض هيثم حيث أخبرها بأنه يريد أن يبقى وحيدًا حتى يستطيع التركيز في ذلك التحقيق، وأن عليه انهاء بعض الأوراق المهمة..

تحدث إلى بناته وحاول أن يريهم النيل، وابتسم ابتسامة بائسة، فهم صغار لا علاقة لهم بمَن مات ومن قُتل ومن القاتل..

وأنهى المكالمة: مع السلامة يا حبايبي.

في اليوم التالي تم استدعاء نيللي تلفونيًا..

اتصل بها أيمن الحلواني الساعة الثامنة صباحًا، كانت بالكاد ترى الهاتف وهو يرن، كانت نائمة على الفراش في منزل سارة صديقتها، غرفة أنيقة بيضاء اللون مطعمة باللون الزهري، أمسكت هاتفها، وقع من يدها، هي تبدو نائمة حتى اللحظة، التقطت الهاتف من الأرض، ردت دون أن ترى من المتصل: الو.

أيمن: صباح الخير مدام نيللي، أنا النقيب أيمن، كنا محتاجين حضرتك النهاردة ضروري، يا ريت متتأخريش.

قالها دون أن ينتظر ردها، قالها بلغة الأمر، فهي رهن التحقيق واحتمالية أن تكون متهمة موجودة، وهي تعلم جيدًا أن أي تأخير أو مماطلة قد تزج بها إلى الحبس الاحتياطي.

استيقظت.. همست: أنا كان مستخبيلي ده كله فين يا ربي.

دخلت إلى الحمام أخذت حمامًا، هي تعلم بأنه سيكون يومًا طويلًا.

ارتدت زيًا رياضيًا مناسبًا للماراثون التي هي ذاهبة إليه..

وصلت إلى مكتب الديميري، كانت تمسك بيدها كوب قهوة من إحدى العلامات التجارية المشهورة وترتدي نظارة شمسية..

من المعلوم والمؤكد بأن النساء دومًا يحافظن على مظهرهن، فهن رغم كل المصائب لا بدّ من المحافظة على الشكل والرائحة والمكياج وارتداء الزي المناسب في المناسبات السعيدة والحزينة وفي الكوراث، بحيث أنه إذا تم قصف بلد ما بالقنبلة الذرية أو بقنبلة بيولوجية فهن سيفضلن اختيار لون الماسك الواقي للكوارث وربما ترفض احداهن ارتداءه أصلًا لأن لونه ليس مناسبًا مع ملابسها.

عكس الرجل الذي ربما يستخدم نفس الملبس لأيام ولكل المناسبات.

دلفت إلى المكتب..

صباح الخير يا مدام نيللي.. قالها الديميري في حدة ثم أردف:

أنا طبعا هدخل في الموضوع، أنا قولت لحضرتك قبل كدة إن أي حاجة هيتم اخفاءها هعتبر ده تضليل للعدالة.

نيللي: وأنا خبيت إيه يا فندم؟

أمسك الديميري الهاتف وأخرج لها صورتها مع شخص وهما يدخلان غرفة الفندق.. تجمدت كأنها تمثال متحجر.. حاولت اخفاء توترها وهي تقول:

وهو في قانون يمنع إني أنام مع راجل تاني طالما بحبه؟

رد الديميري: لا مفيش قانون يمنع، بس لو فيه جريمة قتل يبقى من حقي أسأل مين الشخص ده؟

حاولت نيللي اخفاء هوية شريف لكنها لن تستطيع، فأي مراوغة سيتم فهمها على أنها تضليل..

أخبرته من هو ذلك الشخص.

قال الديمير:

اكتب يا ابني، طلب حضور شريف عبدالسلام محمود، محلة ٦ شارع محمود صدقي متفرع من المنيل.

أمسكت نيللي جبهتها، يبدو أن الموضوع يخرج عن السيطرة.

كان شريف جالسًا على الأريكة مع أمه يشاهدان التلفاز حينما رن جرس الباب، قام شريف من جلسة مريحة، وضع الكوب الذي في يده على الطاولة، فتح باب المنزل وجد أمامه فرد شرطة بالزي الرسمي.

سأله إن كان هذا هو منزل أستاذ شريف عبدالسلام محمود..

هز رأسه في موافقة..

أن يناديك شخص ما باسمك هذا شيء عادي، أما عندما تسمع اسمك الثلاثي فهذا خطر، والرباعي هذا أخطر وأخطر..

أما اذا سمعت اسمك الخماسي، فهذا معناه أنه سيتم اعدامك فورًا.

أخبره فرد الشرطة بأنه مطلوب غدًا باكر في مكتب المقدم محمد الديميري ٩ صباحًا، ولم يخبره عن السبب.

ولم يسأله شريف، فهو يعلم فيما طلب.

أغلق الباب وأمسك بطلب الحضور الذي عليه اسمه، اتصل بنيللي

التي أخبرته بما حدث اليوم صباحًا، وفيمَ سيسأله الديميري.

دخل شريف غرفته، أمسك بهاتفه الجديد، فهو قد اشترى هاتفًا جديدًا لأن هاتفه القديم ذو النغمات التقليدية قد انتحر.

اتصل بحسام صديقه على إحدى برامج الاتصال، وأخبره أنه يريد حقًا أن يترك مصر ويذهب إلى الخليج للعمل، حيث البعاد عن الدنيا بما فيها.

شريف: ألو إزيك يا حسام.

حسام: حبيبي يا شريف طمني عليك.

أحس شريف بتغير طفيف في نبرة حسام، إنّ الّذين يذهبون للعمل في الخليج تحديدًا ليس عندهم وقت إلا للعمل، فهو ليس له أقارب ولا أصدقاء، وإن رمتك الظروف لإيجاد أصدقاء فإنهم صحبة زائلة أشبه بالطعام دون ملح، ليس لهم أي طعم ولا نكهة، ليس لهم معك ذكريات طفولة ولا أصدقاء جامعة ولا جيران ولا حتى أصدقاء سلاح..

تفهم شريف تغيير لهجته، تلك الحياة طاحنة..

وكما جاء في القرآن الكريم "لقد خلقنا الانسان في كَبَد"

أغلقا الهاتف واتفقا على أن يرسل له بعض الأوراق الهامة والسيرة الذاتية، ووعده أن يقدم له في الشركة التي يعمل بها.

خلد إلى النوم وهو يشعر بقلق شديد من استدعاء غدًا، استيقظ في السابعة صباحًا، هو لم ينم جيدًا.

نزل من منزله ودقات قلبه تتصاعد في توتر، استقل سيارة اجرة ظل ينظر من نافذة السيارة كأنه يرى شارع المنيل الذي تربي فيه لأول مرة.

يلاحظ أشياء جديدة، كان سائق السيارة رجلًا مسنًا ثرثارًا، لم يسمع شريف أي شيء من حديثه.

وصل إلى مكتب الديميري..

رأى كل التفاصيل بالتصوير البطيء، وسمع دقات قلبه..

شريف: صباح الخير، فيه طلب استدعاء وأنا مفروض أقابل الديميري بيه.

انتظر حوالي نصف ساعة في صالة انتظار حتى دلف إلى مكتب الديميري.

شريف: صباح الخير يا فندم.

رد عليه الديميري وهو ينظر إلى عينه وطلب منه الجلوس ثم سأله:

قهوتك إيه يا أستاذ شريف؟

شريف: سادة يا فندم.

الديميري: مالك يا شريف متوتر ليه؟

شريف: أصل دي أول مرة أدخل فيها تحقيق وكدة.

الديميري: يعني أنت عارف أنت هنا ليه؟

شريف: طبعا يا فندم بخصوص جريمة قتل البنهاوي.

الديميري: تمام كدة أنت سهلت عليا وعليك، إيه كانت طبيعة علاقتك بالبنهاوي؟

شريف: يا فندم أنا قدمت في الوظيفة من حوالي ٦ شهور وكنت مبسوط جدًا لحد ما هو رفدني.

الديميري: ورفدك ليه؟

ارتبك ونظر إلى الأرض وأردف:

عشان اكتشف علاقتي بنيللي.

الديميرى: وأنت علاقتك بنيللي كانت طبيعتها إيه؟

شريف: كنا بنحب بعض، هي كانت حاسة بالظلم وأنا كنت شوفتها وحبتها قبل ما أعرف إنها مراته.

الديميرى: طيب ولما عرفت إنها مراته مسبتوش بعض ليه؟

شريف: كنت بحبها وهي بتحبني وكنا متفقين إنها تطلق منه ونتجوز، بس ترتيبنا كله باظ لأنه اكتشف علاقتنا ببعض.

الديميري: من صورة السخنة طبعا.

نظر له شريف وهز رأسه في موافقة.

الديميرى: شوف يا شريف أنا لو كان فيه دليل مكنتش سبتك تخرج من هنا، لكن لحد دلوقتي كلها شكوك، عمومًا متسافرش غير لما تدينا خبر.

غادر المكتب في ارتياح مؤقت فهو يعلم أن تلك هي فقط البداية.

جلس قليلًا في إحدى المقاهي، شرب فنجانين من القهوة واتصل بنيللي..

سرد لها ما حدث في التحقيق وأنه يريدها أن تأتي له المنزل ليتحدثا بعيدًا عن أي ضجيج فوافقت..

كان الديميري جالسًا مع أيمن يتناقشا حول تلك القضية التي قد تبدو سهلة لكن في واقع الأمر هي صعبة جدًا..

أردف الديميري أنه لا يوجد دليل واحد على أي شخص، وما صعب القضية هو أن تلك الكاميرات اللعينة لا تعمل، فبعض الشركات تحاول توفير النفقات ولا تأتي بشركة صيانة دورية، هي تعتمد على أن إذا حدث عطل يتم تصليحه.

أردف الحلواني: فيه حاجة غايبة عننا يا فندم، إن أي شركة بيكون فيها فراش، وده في أغلب الأحيان أو معظمها، بيكون عارف كل خرم جوة الشركة، أنا عملت تحرياتي عرفت إن فيه فراش اسمه إدريس. فيه حاجة تانية سيادتك، المعمل الجنائي اتصل بيا النهاردة قالي إنه كان فيه عقب سيجارة عليه روج كان في مسرح الجريمة.

انتبه الديميري: روج وعقب سيجارة؟ يعني مفروض إن كان فيه واحدة ست معاه قبل الجريمة.. واحتمال كبير تكون هي اللي قتلته.

الحلواني: احتمال.

الديميرى: طيب استدعي إدريس ده، يجي بكرة ونشوف.

الحلواني: تمام سيادتك، فيه حاجة تانية.

أردف الديميري: قول يا سيدي خير.

الحلواني: بخصوص أداة الجريمة، المعمل الجنائي ملقاش الأداة وبيرجح إنه اتخبط على سن المكتب لوجود آثار دم على المكتب.

أردف الديميري في دهشة: بس أنا مشوفتش دم على المكتب؟!

أيمن: ما دي حاجة غريبة جدًا، لأن أنا كمان ملقتش دم على المكتب، بس المعمل الجنائي قالي إنهم بيرشوا مادة معينة والمناطق اللي كان عليها دم حتى لو اتسمح بأي حاجة بيظهر بلون أغمق.

أردف الديميري: اوباااا كدة القضية اتشقلبت، معنى كلامك إن فيه احتمال إن يكون حد خبطه بآلة حادة، ودي مش موجودة.. أو إن حد زقه اتخبط في حرف المكتب.. والمعمل الجنائي إيه رأيه؟

أيمن: المعمل بيرجح إن آثار الدم اللي على المكتب مطابقة بنسبة كبيرة مع شكل الخبطة الطولية اللي أدت للوفاة.

أشعل الديميري لفافة تبغ وارتشف من فنجان قهوة كان قد طلبه أثناء حديث أيمن ثم قال:

طيب خلينا ناخد الموضوع خطوات، احنا تقريبا عرفنا احنا شاكين في مين، ويمكن إدريس ده يكون عارف حاجة.

كانت نيللي قد وصلت إلى منزل شريف، صعدت السلم ورنت جرس المنزل فتحت لها أم شريف، احتضنتها وقبلتها وأخبرتها أن

شريف طلب منها عمل قهوة وأنها ستحضر لها شيء تشربه، كانت تعلم بأن نيللي تفضل مشروب الشيكولاتة الساخنة.

دخلت نيللي إلى الغرفة وجدت شريف جالسًا على مكتبه الخشبي القديم المتهالك يكتب بعض أوراق ويعد استمارات.

نيللي: إيه يا شريف بتعمل إيه؟

شريف: زي ما أنتي شايفة بجهز أوراقي، أنا هسيب أم البلد دي وأروح بلد تانية.

قالها في عصبية.. ثم أردف:

يعني يوم ما الدنيا تبدأ توريني وشها الحلو تديني قفاها تاني وبسرعة! حاجة تقرف.

أمسكت يده وأبعدت أوراقه وأردفت: يا شريف أنا ما صدقت لاقيتك، حرام عليك عايز تسيبني ليه؟ احنا مالناش غير بعض أنا ممكن أموت لو سبتني، دي أزمة وهتروح صدقني.

شريف: إنتي مشوفتيش الظابط كان بيكلمني ازاي النهاردة.

نيللي: احنا غلطنا وبندفع تمن الغلطة، بس لما الموضوع ده يخلص هنتجوز زي ما اتفقنا.

كان شريف في قمة غضبه وحين نظر إلى عين نيللي شعر بالهدوء ينساب بين عروقه.

هذا هو الحب، أن تنظر إلى من تحب في كل مرة وتأخذ نفس التأثير، يقولون أن الحب يعمي العيون، هذا صحيح.

أردف شريف:

الست اللي برة دي لو عرفت اللي بيحصل ممكن تقع متقومش.

نيللي: محدش هيقولها حاجة، احنا معملناش حاجة والحق هيبان.

قالت له: محدش هيقول لها حاجة ما تقلقش.

دخلت أمه معها كوب من القهوة الذي طلبه شريف وكوب كبير من مشروب الشيكولاتة الساخنة الذي تفضله نيللي دائمًا..

شرب كل منهم مشروبه في صمت بحيث أنهم يسمعون صوت أنفسهم..

أنهت نيللي مشروبها ببطء وكانت شاردة الذهن ثم أردفت قائلة: ما تقلقش يا شريف كل حاجة حتكون تمام إن شاء الله.

رد عليها قائلًا: يا ريت.

إنصرفت نيللي..

في اليوم التالي كان الديميري يحاول جاهدًا الإلمام بخيوط القضية.. يحاول أن يفك طلاسم القضية فهي تبدو معقدة للغاية.

كان يتحدث الديميري مع مساعد أيمن حين دخل عليه الساعي وأخبره بأن المدعو إدريس بالخارج..

نظر الديميري إلى الحلواني وأخبر الساعي أن يدعه يدخل..

كان الديميري علي يقين بأن مفاتيح اللغز مع هذا الرجل، ربما يعلم الكثير في أغلب الأحيان يكن صاحب العمل أو كيان كبير إلى ساعي أو حارس أو حتى فرد أمن، فهو يرى ويسمع الكثير، ربما يكون السبب في اقالة مدير كبير أو نقله أو ترقيته، لأنه واشي بطبعه، يحاول التودد إلى صاحب العمل أو مدير ما لكي يكسبه ويأخذ مكانة معينة، وفي أغلب الأحيان تنقلب هذه العلاقة، حيث يأخذ ذلك النوع من الناس أكبر من حجمه الطبيعي فيغتر بنفسه..

دخل إدريس إلى مكتب الديميري غير قلق، ثابت القدمين، نظر إليه الديميري في استغراب، ففي أغلب الأحيان يتوتر من يدخل إلى هذا المكتب.

دخل إدريس وألقى التحية: صباح الخير يا معالي الباشا.

رد عليه الديميري: اتفضل يا حاج إدريس.

جلس إدريس على الكرسي في ثبات..

الديميري: تشرب إيه يا إدريس؟

إدريس: شاي يا باشا سكر كتير.

الديميري: شوف يا عم إدريس أنا جايبك هنا مش لأني شاكك فيك، لا خالص، أنا عارف إنك كنت تعرف البنهاوي من زمان اووووي فأكيد تعرف أكتر من أي حد، الراجل ده إيه؟ أنت فاهم أنت كل الناس اللي جواها مش هو اللي براها ويمكن يكون عندك معلومة تفيدنا.

إدريس: أنا هحكي لحضرتك كل اللي أنت عايزه، ممكن أدخن يا بيه؟

الديميري: طبعًا اتفضل.

أخرج إدريس علبة التبغ وهمّ بلف سيجارة..

كان الديميري يتابع حركات يده بعناية.. انتهى من لف سيجارته وهمّ باشعالها حتى دخل عليهم الساعي وهو يحمل كوب شاي لإدريس، السكر زيادة، وفنجانان من القهوة للديميري والحلواني..

أخذ نفسًا من سيجارته وارتشف رشفة شاي بصوت عالٍ، وأخذ يحرك فمه من سخونة الشاي وأردف:

شوف يا باشا أنا عديت السبعين سنة وهقول لحضرتك كل اللي أعرفه، دي شهادة ولازم تكون شهادة حق يا عالم بكرة هكون عايش

ولا ميت، وكمان البنهاوي الله يرحمة كان راجل كريم معايا كان بيحبني وأنا كمان كنت بحبه..

أنا أعرف البنهاوي بيه من لما كان واخد مكتب في المهندسين من حوالي تلاتين سنة أنا كنت شباب لسة وهو كمان كان صغير..

مكنش فيه في المكتب ده غيرى أنا وهو طبعًا وموظف عشان المشاوير هو كان راجل ذكى وكبر نفسه بنفسه، بعد كدة بحوالي خمستاشر سنة فتح الشركة الكبيرة دي، ومكنتش كبيرة كدة هو بمجهوده كبرها بس آخر خمس سنين حسيته متغير مع الناس كلها حتى أنا..

وحتى مع مراته الله يرحمها هو كان بيحبها بس استغلها، هي كانت بنت راجل من رجال الأعمال الكبار ودخل فلوسها جوة فلوسه ده اللي سمعناه لكن اللي أكيد إنها مكنتش راضية عن اللي بيحصل ده، هي مكنش ليها في الشغل ولا بتعرف فيه حاجة..

وفي مرة سمعتهم بيتخانقوا قبل ما تموت بحوالي سنتين، بتتخانق معاه في مكتبه عشان دخلت لاقت البنت السكرتيرة معاه في وضع مش ولا بد يعني، طردت البنت، وهي اللي جابتله مدام نيللي كانت بنت ناس تعرفهم غلابة.

كان الحلواني يستمع بتركيز شديد وهو يهمس إلى نفسه: اللعنة عليك أيها العجوز الماكر، يبدو أن لديك الكثير لتسرده.

سأله الديميري: ... هو كان كدا مع الستات عمومًا ولا السكرتيرة بس؟

إدريس: شوف سيادتك هو كان ذوقه غريب جدًا، لما تعجبه واحدة لازم ياخدها بأي طريقة حتى لو بالجواز زي ما عمل مع مدام نيللي..

بس هو كان ذكي، مكنش بيسيب حد يستغله، أنا فاكر إنه اتجوز نيللي بسرعة برضو بس معرفش إيه السبب..

ولما اكتشف موضوع أ. شريف كان هيتجنن، كنت بشوفه في المكتب رايح جاي وسمعته كذا مرة وأنا بدخله القهوة بيكلم حد في الموضوع ده.

استغرب الديميري وقال له في دهشة:

وأنت عرفت منين موضوع شريف ده؟

ضحك إدريس في خبث وأخذ آخر نفس في سيجارته كأنه يمتصها: يا بيه ما أنا قولت لحضرتك أنا أعرفه من زمان، وكان بيأمنلي أوي ومكنش بيسكت لما أدخل عليه.

تلك هي المرة الأولى في هذه القضية التي يتحدث فيها شخص أكثر من الديميري..

كان الديميري يستمع بتركيز شديد جدًا، وكان يمسك بقلم وورقة ويدون بعض الملاحظات التي ربما تفك لغز هذه القضية.

الديميري: طيب يا عم إدريس أنا تفتكر مين اللي ممكن يكون قتله؟

إدريس: الله أعلم يا بيه، ده قتل نفس وحرام نظلم حد.

الديميري: بلاش مين اللي قتله،

أنت تشك في مين؟ أنت عارف إن ابنه هيثم كان بعيد ومش بيشك في حد.

نظر إليه عم إدريس بعيون التمساح، كان لون بياض عينه يميل إلى الصفار بفعل الزمن وما فعله مع كبده المتهالك..

إدريس: شوف يا بيه، أهو أ. هيثم ساب مصر بسبب أبوه.

الديميري: ليه؟

إدريس: كان مش بيحب أبوه خالص مع إن أبوه كان مدلعه آخر دلع، لكن هيثم كان عارف بلاوي أبوه وخيانته لأمه، بس مكنش

متضايق من الموضوع ده، كان بيتضايق لأن مدام عفاف الله يرحمها كانت ست أميرة بصحيح..

كانت دايما بتشتكي ل أ. هيثم من أبوه عن سوء معاملته ليها..

طبعًا هيثم كان يسمع الكلمتين من هنا يروح يتخانق مع أبوه من هنا..

لحد ما الله يرحمها ماتت وبقوا كويسين مع بعض، هيثم مقدرش يقعد في مصر بعد أمه.

أردف الديميري: أنت برضو مجاوبتش على السؤال.

إدريس: يا بيه الله أعلم، أنا مقدرش أتهم حد.. بس سيادتك ممكن تركز مع الأستاذة شيماء شوية، يمكن عندها حاجة.

نظر إليه الديميري نظرة وهو يسبه في سره: يا ابن الكلب..

وأردف:

احكيلي بقى مالها شيماء؟

إدريس: شيماء جت بعد ما البنهاوي بيه الله يرحمة اتجوز مدام نيللي، بعد جوازهم بحوالي سنة بدأت شيماء تحلو في عين البنهاوي وحاول معاها أكتر من مرة لكن هي كانت بنت محترمة صدته أكتر

من مرة حاول يتجوزها بس هي كان ليها شرط إنه يطلق مدام نيللي.. طبعًا هو رفض بس معرفش ليه.

سأله الديميري في تحفظ:

أنت عرفت كل المعلومات دي ازاي وبالتفاصيل دي؟

إدريس: مكتب البنهاوي بيه كان ليه حتة ازاز وأنا كنت بشوفهم وهما وبيتكلموا وكنت بقرا شفايفهم وبعرف، غير يا بيه دي شركة يعني ومفيش فيها سر بيستخبى.

جلس إدريس حوالي الساعتين..

خرج الديميري ببعض المعلومات التي قد تحتاج سنة بحث وتحريات، أخبره بأن ينصرف الآن وأنه سيطلبه للحضور مرة أخرى..

بدأ إدريس فى اعادة ما قاله ففهم الديميري بأنه أنهى كل ما تذكره الآن..

خرج إدريس من المكتب وجلس الديميري ينظر الى ورقة ملاحظاته وينظر إلى أيمن وهو يقول: شكلها كدة بتوسع يا أيمن.

رد أيمن: لا يا فندم بالعكس دي كدة بتتلم، احنا لاقينا السيجارة عليها روج معنى كدة إن ظهور شيماء دلوقتي ليه معنى، وكمان احنا عرفنا النهاردة أهو واتأكدنا إنه كان راجل بتاع نسوان وفلاتي، يعني قتله لا يخلو من شبهة.

أردف الديميري: عمومًا استعد لشيماء، بكرة نواجهها بالكلام ده ونشوف.

كان شريف جالسًا على أريكة أمام التلفاز..

كان قد ترك لحيته وكانت تليق عليه، زادتة وسامة، حتى رن هاتفه وكان حسام من يطلبه..

حسام: إزيك يا واد يا شريف أنا نفذتلك طلبك يا عم وقبلوك.

شريف: بجد؟ شكرًا يا حسام مش عارف أقولك إيه.

حسام: طيب تقدر تروح بعد بكرة مكتب في الدقي بتاع توظيف تعمل انترفيو؟

شريف: آه طبعًا إن شاء الله.

أغلق حسام الهاتف وأخبره بأن يسرع الاجراءات ولا يتكاسل..

كان هيثم يتحدث مع محامي العائلة، وكان المحامي يخبره بأنه لا يسطيع أن يتصرف في أي شيء حتى يتم اكتشاف القاتل أو غلق القضية.

أخبره هيثم في غضب: أنا هفضل مربوط الربطة الزفت دي لحد امتى؟

أخبره المحامي بأنه لا يوجد معاد محدد وأن يتحلى بالصبر لأن العصبية لن تجدي نفعًا..

أغلق هيثم الهاتف في عصيبة ورمى الهاتف على الفراش ونفخ زفيراً ساخنًا..

كان أيمن الحلواني قد اتصل ب أ. شيماء وهيثم في مواعيد مختلفة ليواجههم بالأقوال التي أدلى بها إدريس الصندوق الأسود..

وصلت شيماء أولًا حسب موعدها المحدد مسبقًا..

دخلت مكتب الديميري وألقت عليه تحية الصباح في روتينية..

الديميري: صباح النور يا أستاذة شيماء.

طلب منها الجلوس.

بدأ الاستجواب في جدية وصرامة:

إيه كانت طبيعة علاقتك بالقتيل؟

أحيانًا يكون واقع السؤال له صدى ما

فهو أدخل كلمة القتيل حتى يشعرها بأن الموضوع ليس بالهين..

كان يريد ان أن يخبرها بأن

"فوقي يا روح أمك وبلاش تناكة"

كان واقع جملة ما هي علاقتك بالقتيل غير مثلًا: ما هي علاقتك بعاطف البنهاوي.

أفاقت شيماء من تناكتها المصتنعة:

مش أكتر من مدير وسكرتيرة يا فندم

أردف الديميري:

يا أستاذة شيماء أرجوكي بلاش نصعب الموضوع على بعض، كلنا عارفين إن دي قضية قتل وأي حد اسمه بيجي فيها من بعيد حتى وضعه بيكون مش تمام.

شيماء: طيب حضرتك عايز منى إيه؟

قالتها في هدوء واعتدلت في جلستها، ضمت ساقيها ووجهت تركيزها إلى الديميري..

أردف الديميري:

احنا عايزين نعرف علاقتك بالبنهاوي اللي الناس متعرفش عنها حاجة، طبعًا حضرتك فاهماني كويس.

كان الديميري يريد أن يأخذ أقوالها ويطابقها بأقوال إدريس، بحيث أن أي مطابقة بين الأقوال يرمي بالصدق عليها وأما أي كذب فذلك يدل على أنها تخبئ شيء ما.

فإن مقولة "قول الصدق ينجي" في محلها..

دومًا الصدق ينجي صاحبه من المهالك،

أما الكاذب ينسى دومًا بحيث أنه يمكن أن يسرد عليك قصة ما ثلاث مرات، فيسردها لك في كل مرة بشكل مختلف.

"الكداب نسّاي" كما يقولونها..

أردفت شيماء:

أنا هقول لحضرتك كل حاجة،

أنا جيت الشركة دي بعد نيللي على طول، ولما جيت الشركة سمعت كلام عن أستاذ عاطف بإنه راجل بصباص وفلاتي وكدة، بصراحة أنا خوفت جدًا،

لكن لما سمعت قصة نيللي وازاي هي صدته راح هو اتجوزها، قولت ليه لا؟ مفيش شاب النهاردة هيقدر يعيشني ربع ولا حتى أقل من الربع من حياته،

ولما جيت حسيت إنه معجب بيا وأنا عارفة من البنات اللي في الشركة إنه لية ذوق معين في الستات، وأنا شبه نيللي شوية فأنا قولت أصده.

حاول يلمسني مرة وأنا بدخله أوراق بس أنا صديته بلطف، ودي كانت غلطتي، لأنه تمادى أكتر وأكتر، كان مفروض أصده بعنف..

المهم هو كان بيحاول معايا كل فترة يحاول يلسمني وأنا كنت ببعد..

كان فيه مرة مكنش في طبيعته، مش عارفة كان ماله، زودها شوية وأنا زعقت جامد جدًا وهو ارتبك،

من ساعتها محاولش معايا تاني، وحسيت إن الموضوع اتشال من دماغه، وأنا مش هتبسط بحاجة زي كدة، حاولت إني أشده ليا تاني بشكل ما، الموضوع وسع مني ومقدرتش أوقفه عن حده، حضني جامد وحاول يبوسني.

أردف الديميري:

روحتي خبطتيه على دماغه وقتلتيه.

شيماء: يا فندم لا قتلته إيه بس، الموضوع ده حصل من شهور، زقيته وجريت أخدت شنطتي وروحت.

الديميري: طيب وليه أنتي فضلتي في الشركة مسبتيهاش ليه؟

شيماء: يا فندم المرتب كبير جدًا، مكنتش هلاقي شغل بالمرتب ده.

الديميري: وأنتي شايفة إن ده سبب يخيلكي تستحملي قلة أدب الراجل ده؟

قالت شيماء إنها على يقين بأنها كانت على خطأ في إدارتها للأمور لكن هذا ما حدث..

طلب منها الديميري بألا تسافر خارج مصر لحين انتهاء التحقيق..

انصرفت شيماء وظل الديميري ينظر إلى أيمن، نفخ نفخة ملل وحيرة وقال:

إيه يا أيمن هنعمل إيه تاني؟

أردف أيمن بأن خيوط القضية ظهرت وبدأت في الوضوح.

قال الديميري: طيب يا أيمن استدعي هيثم نشوفه لو عنده جديد.

كان شريف جالسًا في أحد مقاهي المنيل يدخن شيشة بطعم التفاح وأمامه كوب شاي حين توقفت أمامه سيارة ملاكي ونزل منها الديميري،

نظر إليه شريف في دهشة

وأردف: هو أنا متراقب يا باشا ولا حاجة؟

الديميري: لا خالص يا عم شريف، كل الموضوع إني كنت معدي لاقيتك قاعد قولت آجي أشرب معاك حاجة.

شريف: تنور طبعًا يا فندم أهلًا وسهلًا.

جلس الديميري على الكرسي الأيمن بمواجهة الشارع جلسة ظابط شرطة محترم كان جالسًا بزاوية يرى منها أكبر قدر ممكن من الشارع، نظر نظرة عامة على الشارع، طلب كوب ليمون ساخن كان يشعر ببوادر برد..

نظر إلى شريف قرأ ملامحه قبل أن يسأله ما أحواله وهل تم تعيينه في وظيفة ما؟ وتحدث إليه كصديق..

ثم اعتدل في جلسته وسأله ما هي طبيعة علاقته بنيللي في الوقت الحالي..

أردف شريف: احنا كنا متفقين زي ما قولت لحضرتك قبل كدة إننا هنتجوز لما هي تطلق.

فكر شريف مليًا فيما يقول لأنه يعلم جيدًا بأن كل كلمة سيقولها ستؤخذ عليه حتى لو كانت مجرد دردشة على القهوة، حتى لو ذهبا إلى السينما سويًا أو حتى ممشى العاهرات ريد لايت، في أمستردام..

ثم قرر أن يقول الصدق لآخر كلمة،

أخبره أن نيللي تزوره في البيت من وقت لآخر وتجلس مع والدته وأنها تحبها كثيراً.

ظل الديميري يستمع بعناية

وهمس يكلم نفسه:

غلطة، عايزك تغلط غلطة بس.

أنهى الديميري مشروبه وشعر بأن وجوده ليس له أي قيمة الآن، وأنه لن يحصل على معلومات أكثر.

في اليوم التالي..

كان قد تم استدعاء هيثم في اليوم السابق..

وصل إلى مكتب الديميري، انتظر بالخارج قليلًا حتى أُذِنَ له بالدخول. كان الديميري جالساً على مكتبه يقرأ بعض الأوراق ويكتب ملاحظات..

دخل هيثم، جلس على الكرسي المقابل للديميري

وأردف: صباح الخير يا فندم، هل فيه أي جديد عرفتوه؟ مين القاتل؟

الديميري : للأسف يا أستاذ هيثم لسة، أنا حبيت أجيبك النهاردة ندردش شوية في الموضوع لأن كل الخيوط بتتقطع، يمكن أوصل منك لحاجة.

هيثم :أنا تحت أمرك.

أردف الديميري أنه على علم بما قام به البنهاوي من مغامرات نسائية وأن تلك الأمور سببت مشاكل له مع زوجته والدة هيثم وأنّ هيثم كان على علم بتلك الأمور وكان كثير الشجار مع والده بسبب تلك الأمور، وأيضًا معاملة والده السيئة لوالدته وأنه ترك مصر واتجه للعيش بالخارج بعد وفاة والدته..

كان هيثم يستمع وهو ينظر في الأرض وكان يهز قدمه ويفرك يده بقوة، ربما لان الديميري ذكره بما يريد أن ينساه، أو ربما لأنه ذكره بوالدته التي كانت مصدر حنان وقوة بالنسبة له،

ثم أردف

كل ده صح، بس إيه علاقته بالقضية؟

الديميرى: لا ازاي بقى! مش يمكن ده يكون سبب قوي للانتقام؟

هيثم: معقول يا فندم أنا هقتل والدي؟

الديميري: دي جريمة قتل يا أ. هيثم، ولازم نطرح كل الاحتمالات ونفكر فيها.

أردف هيثم بأنه لم يصل الشركة إلا في صباح اليوم التالي ليتحدث مع والده بخصوص نقل حياته إلى مصر بشكل نهائي، وأنه لم يفكر يومًا في ذلك، وإلا لمَ ترك مصر؟

كان الديميري يستمع في اقتناع، ولكن كعادة ضباط المباحث كان يشك في كل كلمة..

أنهى هيثم حديثه ثم انصرف..

ظل الديميري يفكر مليًا في كلامه حتى دخل عليه أيمن:

صباح الخير يا باشا، إيه الأخبار مع هيثم؟ فيه أي جديد؟

الديميري: ولا أي حاجة، زي ما احنا برضو.

كانت نيللي قد نزلت من سيارتها صاعدة إلى شريف حسب موعد مسبق بينهما، صعدت الدرج، وصلت إلى باب الشقة ورنت جرس الباب، فتحت لها أم شريف، كانت ترتدي ملابس منزلية وعلى كتفها شال من الصوف، احتضنتها نيللي وكانت قد جلبت معها بعض الأغراض من أحد المحلات المشهورة، أغراض بقالة وجبن وأشياء يحبها شريف، أردفت أم شريف أنه ليس هناك داعي لهذه الأشياء، الأم كانت تعلم علاقة الحب التي تربطها بشريف، ردت نيللي بأن هذا شيء بسيط ولا داعي للمجاملات، دخلا سويًا إلى المطبخ، كان شريف

قد ذهب ليجلب شيئًا ما من الخارج، وبمجرد أن سألت نيللي عليه رن جرس الباب، ضحكا وقالت نيللي:

يا ريتنا كنا جبنا سيرة ميلون جنيه.

كانت الأم في المطبخ منهمكة في ترتيب الأغراض في أماكنها، فهي مولعة بالتنظيم، ذهبت نيللي تفتح الباب، كان شريف.

ابتسم شريف حين رآها وأخبرها بأنها تأسر قلبه كلما رآها، وحضنها في حب وبادلته الاحساس.

دخلا إلى غرفته وتركا باب الغرفة مفتوحًا وتحدثا قليلًا عن القضية وكثيراً عن مستقبلهم.

أخبرها شريف بأنه يحبها وأنه يريد أن يبقى معها إلى الأبد رغم كل ما حدث، وأن كل هذه الظروف الصعبة هي ما جعلته يحبها لأنه شعر بصفاء قلبها، فهي التي تجعله يشعر بأنه يتنفس وأنه على قيد الحياة.

كانت نيللي جالسة على الأرض وكان شريف جالسًا على سريره في راحة.

كانت تستمع وهي مبتسمة ابتسامة تعلو وجهها، تلك الابتسامات التي تعبر دون كلام.

أخبرته نيللي بأنها تريد أن تبقى معه بقية حياتها، وأنها على استعداد تام بأن تبدأ معه من تحت الصفر.

أخبرها شريف أنه بمجرد انتهاء التحقيق سيتزوجها على الفور ويبدئا حياتهما من جديد، وأن ينسيا كل ما قد فات من الآلام..

قالت نيللي:

عارف يا شريف، أنا نفسي أروح العين السخنة معاك تاني، نفسي أحس احساس الأمان وإن الدنيا كلها تحت رجلي، احنا هنقضي شهر العسل بتاعنا هناك.

كل من يحب يربط كل حدث بشيء ما، أول مكان، أول أغنية، أول كل شيء هو كل شيء بالنسبة له..

ربما لو أحبت امرأة رجلًا وقابلته في المرة الأولى في مكان ما، سيكون ذلك المكان له ذكرى معها.

ضحك شريف وقال: شهر عسل تاني يا نيللي!

كانت أم شريف قد أعدت بعض سندوتشات الجبن والفراخ المدخن وكوبا شاي بحليب.

تفتقد نيللي تلك الاجواء، همت واقفة وأخذت الصنية من أمه ووضعتها على المكتب وقبلت يدها في حنان وعرفان وأخبرتها بأنها تعتبرها كأمها الثانية، وأنها لن تناديها من اليوم إلا بماما..

ضحكت الأم وربتت على كتفيها في حنان ودعت لها براحة البال وصلاح الأحوال.

كانا يريدان أن يستمتعا بتلك اللحظة إلى آخرها.

سمعا صوتًا من الخارج، كانت الأم تشاهد التلفاز حتى شاهدت أغنيتها المفضلة لفريد الأطرش، أغنية حكاية العمر كله.

كانت الأم تحب فريد الأطرش جدًا، خصوصا تلك الأغنيات التي هي من تلحينه..

دندن شريف مع الأغنية، كان يحبها أيضًا.

يا شمس قلبي وضله..

يا فرحة عمري كله..

ابتسمت نيللي في كسوف ورددت معه بصوت ضعيف مع ابتسامة، حتى جاء المقطع المفضل لشريف..

لحد ما شوفتك أنتي وقولت أنتي اللي كنتي

وأشار بإصبعه عليها وابتسم.

ظلا سويًا حتى نزلت نيللي وعادت إلى منزل صديقتها.

واستلقى شريف على فراشه يتأمل القمر الذي كان بدرًا من نافذة غرفته..

كان أيمن جالسًا مع الديميري في مكتبه يتابعان القضية حين قال أيمن:

طيب يا باشا احنا في أي قضية لما بنفكر تفكير عادي مش بنوصل لحاجة، تعالى نفكر بطريقة تانية، احنا دلوقتي بنفكر إن ممكن يكون حد من أعدائه اختلف معاه وقتله صح؟

هز الديميري رأسه في موافقة وقال: وبعدين؟

أردف أيمن: طيب ليه ميكونش محدش قتله أصلًا؟

نظر الديميري إلى أيمن في انتباه،

انتبهت خلاياه الحسية وشعر بتنميل في خلاياه العصبية، وسأل:

يعني إيه يا أيمن؟

أردف أيمن:

دلوقتي احنا عندنا قتيل مات لما اتخبط على دماغه، والطبيب الشرعي قال إن آلة حادة هي السبب، طيب ليه متكونش الآلة الحادة دي هي حرف المكتب أو حرف ترابيزة مثلًا،

وإنه داخ مثلًا فوقع على دماغه؟!

الديميري: بس كدة كان مفروض نلاقي آثار دم على الحاجات دي لو ده السبب.

أيمن: لا مش لازم لو الخبطة كانت سريعة، بمعنى إنه اتخبط ووقع على الأرض على طول فمنطقى منلاقيش آثار دم، ومتنساش حضرتك إننا لاقينا الجثة قريب من المكتب والترابيزة.

الديميري: لا اصبر عليا وحدة وحدة، احنا نطلع على المشرحة ونشوف القصة إيه.

خرجا سوياً استقلا سيارة حكومية نص نقل واتجها إلى المشرحة ليقابلا الطبيب المختص بالتشريح..

وصلا إلى مشرحة زينهم حيث توضع فيه الجثث التي يدور حولها تحقيق أو بها شبهة جنائية ولا يتم إعطاء تصريح دفن إلا عند انتهاء التحقيق،

كان المكان كئيبًا حقًا، تفوح منه رائحة الموت، حوائطه مدهونة باللون الأسود القاتم، كان الطبيب الشرعي جالسًا على مكتبه..

دخلا إلى مكتبه بعد أن استئذنا وعرفا أنفسهما..

الديميري: صباح الخير يا دكتور، أنا كان عندي استفسار بخصوص جثة البنهاوي،

احنا بنبحث في القضية وعايزين تصور عن شكل الآلة الحادة المتسببة في وفاته من خلال خبرتك، أنا عارف إن ده مش شغلك لكن عايزينك تساعدنا.

كان الديميري ثعلب بأسلوبه، كان خبيراً في التعامل مع البشر، يعرف مدخل كل شخص، فالبشر مثل صناديق مغلقة إذا استخدمت المفتاح المناسب ستأخذ ما بداخله، أما إذا استخدمت المفتاح الخطأ فلن ترى منه أي شيء..

أحس الطبيب بأهميته وأنه سيفيدهم باستجماع كل خبراته.

همّ من مكتبه وخرج، تبعاه إلى الغرفة المجاورة، كان مكتوب عليها (ثلاجة الموتى).

فتح درج كبير بداخله جثة البنهاوي عارية وعليها ملاءة، نظرا جميعًا إلى الجثة في روتينية، فهم تعودوا على هذه الأمور..

أمسك الطبيب برأس البنهاوي

وقال:

بص سيادتك الخبطة كانت جامدة وواضح إن الجسم اللي خبطه كان جسم مستقيم مش حاجة ليها شكل.

الديميري: حرف مكتب مثلًا؟

الطبيب: اه احتمال كبير يكون حاجة زي كدة أو مثلًا حد خبطه بحديدة مستقيمة.

الديميري: طيب احنا نقدر نعرف إذا كان جاله هبوط مثلًا أو دمه كان بيحتوي على مادة ممكن تفقده توازنه؟

الطبيب: آه طبعًا احنا بناخد عينة من الدم وبتتحلل، ولاقينا مادة في الدم في الغالب كان واخد أدوية قبل القتل بساعتين بتسبب دوخة شديدة.

نظر أيمن إلى الديميري في انتباه، يستمعا جيدًا إلى الطبيب.

شكرا الطبيب وأخبراه أنهما يريدان تقريرًا رسميًا يرسل إلى مكتب الديميري..

خرجا سويًا وتحدثا حول كلام الطبيب بأنه يوجد احتمال بأن الدوخة أفقدته توازنه وسقط على المكتب، لكن الديميري لم يقتنع بهذا الحديث وأخبر أيمن بأنه على يقين بأن هناك شبهة جنائية..

وصلا إلى المكتب وكانا يتحدثان طوال الطريق عن كل الاحتمالات، وظلّا يتحدثان حتى دلفا إلى المكتب وطلب الديميري كوب قهوة كبير وكذا أيمن لكي يفيقا من رائحة الموت تلك التي استنشقاها في المشرحة..

جلس الديميري على مكتبه وأشعل لفافة تبغ، أخذ نفسًا عميقًا وأخرج الدخان من أنفه، كان بحاجة إلى جرعة نيكوتين سريعة، أحضر الساعي القهوة ووضع كوب القهوة أمام الديميري..

تحدث أيمن:

احنا محتاجين نشوف الناس تاني ونتكلم معاهم بطريقة مختلفة يمكن حد يغير أقواله وينسى، أو يمكن نلاقي تفصيلة غايبة.

رد عليه الديميري بعدم تركيز لأنه كان متعمقًا في التفكير: ماشي خلينا نبدأ معاهم من تاني، القضية كدة اتعقدت ومحتاجة طريقة تانية، ولازم نحط في اعتبارنا إننا لازم نقفلها ونبعتها النيابة في أسرع وقت.

قال أيمن: تمام سيادتك.

ذهب شريف في اليوم التالي إلى مكتب التوظيف الذي طلب منه أن يجهز أوراقه وأعطاهم كل المطلوب وأخبره الموظف بأن عليه أن يعد نفسه للسفر خلال أسبوعين لأن الشركة تحتاجه في أسرع وقت.

خرج شريف من المكتب وهو متوتر، هو يعلم أنه أقدم على هذه الخطوة في تسرع، فهو لم يفكر جيدًا في أمه أو نيللي أو القضية.

كان يحتاج إلى أي سبب لإلغاء هذه الوظيفة.

أخرج هاتفه واتصل بالديميري ليخبره بأنه يحتاج الوظيفة ويريد أن يغادر البلاد..

رد الديميري عليه، أخبره شريف بالموضوع وأنه يحتاج إلى الوظيفة ويريد أن يغادر مصر.

أخبره الديميري بأنه مستحيل أن يترك مصر الآن، فهو مشتبه به وطرف مهم في القضية..

وأخبره أيضًا أنه يريده غدًا صباحًا ليناقش معه بعض الأمور.

أغلق الهاتف ووضعه في جيبه في شرود..

كان الديميري في مكتبه حين وصلت شيماء إلى مكتبه لأخذ أقوالها مرة أخرى..

دخل الساعي إلى مكتب الديميري وأخبره أن أ. شيماء بالخارج..

أخبره الديميري بأن تدعها تدخل..

دخلت إلى المكتب وجلست على الكرسي المقابل للديميري..

باغتها الديميري بسؤال مفاجئ:

هو أنتي بتدخني يا أستاذة شيماء؟

ارتبكت شيماء من السؤال، أخبرته بأنها ليست مدخنة لكن تدخن من حين إلى آخر..

ربط الديميري بين ارتباكها ولفافة التبغ التي وجدت في مسرح الجريمة التي كان عليها روج.

أردف الديميري:

شوفي يا شيماء، أنا آخر مرة فكرت كتير في أقوالك بس مش مقتنع بكلامك، منين هو سابك وليه أنتي حاولتي تقربي منه تاني؟! حاسس إن فيه حلقة مفقودة، فيه حاجة ناقصة في كلامك، فيه حاجة أو تفصيلة أنتي مش عايزة تقوليها، ولو حسيت إنك مخبية حاجة صدقيني مش هقف جبنك.. ده غير إننا لاقينا عقب سيجارة عليه روج في المكتب.

شيماء :يا فندم والله أنا قولت كل حاجة، وبعدين حضرتك عايز تتهمني بسبب عقب سيجارة! أنت ممكن بسهولة تعرف إنه مش بتاعي بتحليل D N A.

أنا مش من مصلحتي إني أخبي حاجة يا فندم، أنا بقول الحقيقة.

همهم الديميري، شعر بداخله بصدق كلامها، شعر أنها لم ترتكب تلك الجريمة، ربما هي امرأة متسلطة لكن ليست قاتلة..

نظر إليها وأمرها بالانصراف وأنه سيطلبها مرة أخرى..

خرجت شيماء من المكتب.

ظل الديميري يفكر ويفكر، أخرج هاتفه، اتصل بأيمن وحدثه قليلًا وأمره أن يستعجل تقرير الطبيب الشرعي الخاص بتحليل الحامض النووي، حيث إن تلك الأنواع من التحاليل تأخذ بعض الوقت.

أنهى المكالمة ودخل عليه الساعي يخبره أن هناك شخص ما بالخارج يريد الدخول..

أذن له بالدخول وأمر الساعي بأن يحضر له كوب قهوة مغلية، لعلها تصلح ما أفسدته هذه القضية..

دخل المكتب شاب ثلاثيني يرتدي ملابس متواضعة ويرتدي عوينات.. ألقى التحية على الديميري، رد عليه التحية ودعاه للجلوس.

صمتا عدة ثواني.

كان الديميري ينظر إليه بتمعن، وينتظره أن يتحدث.

حتى بدأ الشاب بالكلام:

أنا اسمى علاء محمود السيد، أعمل فرد أمن في شركة البنهاوي وترددت كثيراً في أن آتي إلى هنا للحديث، لكنني لم أقدر على كتمان شهادتي أكثر من ذلك.

وأردف: أنا عارف مين قتل البنهاوي بيه.

جمدت عينا الديميري وتجمدت ملامح وجهه، كان يأخذ نفسًا من سيجارته ونسي أن يخرجهه، ثم أخرجه في مرارة لأن طعم النيكوتين ظلّ في فمه أكثر من اللازم..

الديميري: بتقول إيه؟ عارف مين اللي قتل؟

علاء: أيوة يا فندم أنا هحكي لحضرتك كل حاجة أعرفها..

أنا يوم الحادث ده كان مفروض زميلي يستلم مني وردية بالليل، لكن كان عنده ظروف وطلب مني أشتغل مكانه، احنا بنعمل الكلام ده كتير..

المهم كل الموظفين مشيوا الساعة 5المغرب وأنا كنت هقعد طبعًا لتاني يوم شغال، دخلت الكشك بتاعي عملت حاجة آكلها، عملت وأكلت وخلصت وخرجت قفلت البوابة على الساعة 6 ونص، وكان فيه مسلسل متابعه اتفرجت على الموبايل عليه جيت الساعة 10بالليل لاقيت حد بينط من السور من جوة لبرة، جريت عليه طبعًا أشوف مين ملحقتش، رجعت مكاني وبلغت الريس بتاعي طلب مني إني أدخل الشركة أشوف فيه أي باب مكسور أو أي حاجة مش طبيعية، دخلت لاقيت الباب الازاز بتاع الشركة مقفول وبصراحة أنا كنت تعبان غفلت شوية.

الديميري: إنت بتقول عارف مين اللي قتل، هو اللى نط من السور؟

علاء: أيوة يا فندم هو كان لابس جاكيت أسود ومن ضهره عرفته.. أستاذ مدحت، أنا عارفه كويس لأنه قديم ومعروف.

نظر إليه الديميري، أشعل سيجارة أخرى، كان الساعي دخل عليهم ليحضر كوب القهوة..

ظلا يتحدثا حوالي الساعتين حتى انصرف من المكتب.

اتصل الديميري بأيمن على الفور وطلب منه الحضور إلى المكتب على الفور..

كان شريف جالسًا مع نيللي على أحد الشواطئ في الإسكندرية، كانا قد حددا السفر صباح هذا اليوم..

اتصلت به نيللي وأخبرته أنها تريد أن تسافر إلى أي مكان ليوم واحد فقط، كان شريف يحب الإسكندرية، حيث أنها غير مزدحمة في هذا الوقت.

نظر إليها شريف ونظر إلى البحر وقال:

تفتكري يا نيللي كام واحد وواحدة بيحبوا بعض جم قعدوا هنا زينا؟ ويا ترى الناحية التانية من البحر فيه اتنين بيحبوا بعض برضو قاعدين زينا..

أنتي عارفة أنا ساعات بفكر لما ببص للبحر كدة بقول ليه مأخدكيش ونروح نعيش على جزيرة مهجورة، أنتي كفاية عليا مش عايز حاجة تاني أبدًا.

نظرت إليه نيللي.. كانت تراقب ملامح وجهه، كان بداخلها كلام كثير يكاد يكون كبير مثل البحر، لم تجد أي تعبير مناسب فاحتضنته، ربما في أغلب الأوقات الأحضان هي أبلغ تعبير.

أردف شريف:

احنا لازم نتجوز، أنا مش هقدر أبعد عنك أكتر من كدة.

كان قد وصل أيمن وفي يده تقرير الطب الشرعي..

قال للديميري:

تمام سيادتك التقرير أهو.

الديميري: تعالى بقى لأني خلاص عرفت مين القاتل.

جلس أيمن على الكرسي المقابل للديميري في حيرة من أمره:

مين يا فندم اللي قتل؟

أجاب الديميري: هتعرف في الوقت المناسب، أنا عايزك تجمعلي هيثم ونيللي وإدريس ومدحت وإبراهيم وشريف وشيماء يجوا بكرة في الفيلا بتاعة البنهاوي.

أجرى أيمن اتصالاته على الفور بالجميع وأخبرهم بالموعد، وكان لا يعلم كلا منهم أن هناك شخص آخر قادم، إلا نيللي وشريف بالطبع..

في اليوم التالي في الموعد كان هيثم أول الحاضرين بطبيعة الحال.

ثم وصلت نيللي ومعها شريف وتوالى الجميع..

جلسوا جميعًا في الصالون الكبير، كانت نيللي جالسة على الكرسي الذي اعتاد البنهاوي الجلوس عليه، نظرت إلى الفيلا وهى نادمة على كل دقيقة عاشتها في هذه الفيلا، شعرت بضيق نفسها حينما دخلتها.

كانوا جميعًا جالسين في صمت كأنهم لوحة العشاء الأخير، منهم من شعر بالخوف ومنهم من شعر بالحيرة..

حين وصل الديميري الذى كسر هذا الصمت، كان معه أيمن.. قال:

مساء الخير يا جماعة، أنا جمعتكم النهاردة عشان أقولكم مين القاتل.

ارتسمت الدهشة على وجوههم، منهم من لم يقدر على بلع ريقه حتى..

في صمت من الجميع أكمل الديميري:

القاتل موجود بينا هنا..

أستاذ هيثم، أنت قولت في التحقيقات إنك وصلت وتاني يوم روحت على الشركة.

هيثم: أيوة تمام يا فندم

الديميري : بس اللي مقولتوش إنك وصلت قبل الحادث بيومين مش بيوم زي ما قولت، احنا عرفنا من الجوازات.

برقت عينا هيثم وفي ارتباك قال:

أيوة يا فندم أنا كان عندي شغل ومكنتش عايز أقول لبابا إني وصلت عشان هيزعل إني مروحتش على طول.

قال الديميري: عمومًا مش مهم، مش إنت القاتل.. عم إدريس، احنا عرفنا من التحريات إنك طلبت سلفة كبيرة من البنهاوي ورفض، وكان فيه مشادة كلامية بينكم.

قال في دهشة: وحضرتك عرفت منين؟

الديميري: الله! ده شغلنا بقى، هو أنت فاكر إنك أنت بس اللى بتقرا الشفايف؟ احنا كمان بنقرأ العقول.

رد إدريس على الفور:

حصل يا فندم، أنا طلبت وهو رفض.

الديميري: عمومًا مش أنت القاتل.. القاتل يا سادة هي شيماء.

انتفض الجميع من مقعده، نظروا جميعهم إلى شيماء وكثرت الهمهمات..

صرخت شيماء في ارتباك: والله ما قتلته، والله ما قتلته.

اسكتي خالص، خليني أكمل.. قالها الديميري في حسم ثم أكمل حديثه:

أنا هقولك إيه اللي حصل، اللي حصل إن يوم الحادث أنتي اتأخرتي في الشغل بناءً على طلب من البنهاوي، وكنتي قاصدة تشديه ليكي تاني عشان يتجوزك، دخلتي المكتب، حاول يعتدي عليكب، أنتي زقتيه، وقع اتخبط على حرف المكتب.. تحليل ال D N A اللي لقيناه على السيجارة كان بتاعك.. نزلتي خايفة طبعًا، استنيني علاء الأمن لما دخل يعمل حاجة في الكشك بتاعه واتسحبتي وخرجتي.. واللي الناس متعرفوش واللي أنتي مقولتيش عليه إنك كنتي على علاقة حب بإبراهيم.

قالها الديميري ونظر إلى إبراهيم..

قام إبراهيم في ارتباك وخوف: يا فندم مش صح، أنا معرفش حضرتك بتقول إيه!

أردف الديميري: اسكت يا إبراهيم، تم تفريغ المكالمات كلها وفيه تسجيلات بالكلام ده..

نزلت شيماء كلمت إبراهيم اللي كان على علم باللعبة القذرة دي، حكت له اللي حصل..

طبعًا إبراهيم حب يروح يتأكد إذا كان البنهاوي مات ولا لسة، ولأنه على علم بالشركة كويس لأنه كان شغال فيها، نط السور اتأكد إن البنهاوي مات ومسح تسجيل الكاميرات ووقع السيستم بتاعها.

دون أن يكمل إبراهيم كلامه، أمر الديميري رجال المباحث بأخذ شيماء وإبراهيم..

وأردف الديميري: تقدروا تمشوا يا سادة العرض خلص.

نظرت نيللي إلى شريف دمعت عيناها..

قاطعها هيثم:

يا نيللي أنا عارف بابا ظلمك أرجوكي سامحيه، هو دلوقتي ميملكش حاجة، وأنا هديكي الفيلا دي، أقل حاجة أقدر أعملها.

كان هيثم إنسان حساس رأى أمه متجسدة في نيللي، هو يعلم ما معنى أن يظلم أحد.

شكرته نيللي في امتنان.

ذهبت إلى شريف أمسكت يده بكلتا يديها وخرجا..

خرجا إلى المستقبل الذي ينتظرهم.

*** تمت ***

نبذة

كل شيء له ثمن، الحب والكره، والخيانة والعطاء والثقة..

الشخص العاقل من يدفع الثمن المناسب.

وعليه أن يقدر الأشياء بقدرها، ولا يقع في فخ الحسابات الخاطئة.

دائمًا العقل يكسب القلب في اتخاذ القرارات، الهينة قبل الكبيرة..

رغم أنه عليك اتباع قلبك في بعض الأحيان، إنها المعادلة الصعبة يا عزيزي.

إن كانت لديك الخبرة الكافية في حلها

أم إن كانت ليس لديك فعليك أخذ رأي شخص ذي ثقة وخبرة..